محمد خليل الخطيب النيدي

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق
صلى الله عليه وسلم

السلسلة الثالثة

جمع وشرح فضيلة الشيخ الإمام

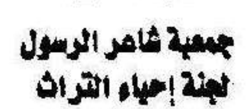
محمد خليل الخطيب النيدى

إشراف فضيلة الشيخ

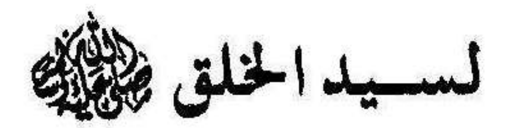
محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول

صلى الله عليه وسلم



القصص الحق



السلسلة الثالثة

جمع وشرح فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

إشراف فضيلة الشيخ

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول

صلى الله عليه وسلم

إصدار إبريل ٢٠٠٨

١ – زواج النبي ﷺ بحفصة رضي الله عنها.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِي اللَّه عنهما– قال: تَأَيَّمَتْ(١) حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ(٢) – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّي بِالْمَدِينَةِ(٣) – قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ(٤) فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا(٥)، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ(٦) مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ

---

(١) تأيمت: أي مات زوجها فصارت لا زوج لها.

(٢) هو خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو القرشي السهمي.

(٣) أى من جراحة أصابته في واقعة أحد،وقيل بعد بدر. قال الزبيدي: ولعله أولى فإنهم قالوا: إنه ﷺ تزوجها بعد خمسة وعشرين شهرا من الهجرة،وفى رواية بعد ثلاثين شهرا،وفى أخرى بعد عشرين شهرا وكانت أحد بعدها بأكثر من ثلاثين شهرا وجزم ابن سعد بأنه مات بعد قدومه صلى الله عليه من بدر وبه جزم ابن سيد الناس.

(٤) سأنظر:أى أتفكر .

(٥) " قوله: فلم يرجع إلي شيئا " تأكيد لرفع المجاز لاحتمال أن يظن أنه صمت زمانا طويلا ثم تكلم.

(٦) أوجد: أشد غضبا وهو من المواجدة " يقال وَجَدَ عليه إذا غَضِبَ " قال العيني: وإنما قال عمر ذلك لأن لكل منهما عند الآخر من مزيد المحبة فلذلك كان غضبه من أبي بكر اشد من غضبه من عثمان، ولأن النبي ﷺ كان قد آخى بين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما ، وأما عثمان كان قد أجابه أولاً، ثم اعتذر له ثانيًا ولكون أبي بكر لم يعد عليه جواباً. قال شيخنا الخطيب ﷺ :فإن قلت كيف غضب على أبي بكر أشد من غضبه على عثمان إذ فاته تزويج أحدهما حفصة؟ فالجواب:أن غضبه ليس على واحد منهما بل على فوات حفصة التأدب بآداب واحد منهما بالمعاشرة الزوجية.

ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي،باب شهود الملائكة بدر حديث رقم ٤٠٠٥

وفي الحديث :

- فضل كتمان السر فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج.
- عتاب الرجل لأخيه وعتبه عليه واعتذاره إليه.
- أن الصغير لا ينبغي له أن يخطب امرأة أراد الكبير أن يتزوجها.
- وفيه الرخصة في تزوج من عَرَّض النبي ﷺ بخطبتها أو أراد أن يتزوجها لقول الصديق لو تركها لقبلتها.
- وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه؛ لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، ولا استحياء في ذلك.
- وفيه أن يزوج بنته الثيب من غير أن يستأمرها، إذا علم أنها لا تكره ذلك، وكان الخاطب كفؤا لها .

وفي هذا المعني يقول شيخنا الخطيب في ديوانه :

لبنتك هذب واخطبنَّ مناسبا ... لا تخجلن من سنة سنها عمر
ومَن مثله في الناس للناس قدوة ... وقد نزلت وَفْقا لآرائه السور
أما خطب الصديقَ يومًا لحفصة ... وعثمان لكن حظَّها سيدُ البشر

وعن أزواجه ﷺ وسر تعددهن يقول شيخنا الخطيب رضي الله عنه في ديوانه بشري العاشقين :

لله أزواجُه اللائي شرُفن به ... ونلن-ما لم تنل أنثي من العظم
قد ضمهن رسولُ الله في كَنَف ... ومن يضمُّ رسولُ الله لا يُضم
أنس لوحشته عون لدعوته ... بث لشرعته ، أمن من السأم
أحواله ذُكرت آدابه نُشرت ... أحكامه نُقلت للناس كالحكم
ما يستح الغيد أن يعلمن من رجل ... علمن من غادة من غير محتشم
قل للذي ضل في بِيد الهوى فهوى ... إياك لوم الذي إن لمت تنحطم
أين الهوى أيها الهاوي بنسبته ... إلى الرسول تعالى صاحب العصم
قد جاز خمسين عاما وهو مقتصر ... على خديجةَ ذاتِ الحزم والكرم
وما ابتغى غيرها حتى قضت كرما ... وحسن عهد وإحسانا على قدم
لو أنه لابتغي الأبكار مثل دُمىً ... دون الأيامى الألى أدنى إلى هرم
لكنه الدين يبغى أن يؤيده ... ومن يقل فيه لاينطح سوى الهرم
كم نال داود من أنثي؟ وكم ملكت ... يدا سليمان من ريم ومن عصم[1]
فليس بدعا إذن تسع لحضرته ... شكرا لها لم يرم عنها ولم يرم[2]
وليس منهن إلا من تزوجها ... لحكمة لم تكن تخفى على فَهِم
مكافئا أهلها أو عاقدا صلة ... بقومها أو لها مرعية الحرم
أو هادما عادة في قومه رسخت ... والهدم بالفعل فوق الهدم بالكلم
كزينب والذي ينمى إليه هوى ... فيها على رأسه يهوِى إلى الحطم
لم يهْوَها غادة عذراء خالية ... فكيف والزوج محبوب إليه نمى
الله زوجها مختاره فقضى ... على المعرة في أنثى دَعيِّهم

(١) الريم : الظبي الخالص البياض وتشبه به المرأة . والعُصَمُ : الظباء، والمراد النساء.

(٢) لم يَرِمْ: لم يفارق. ولم يَرُمْ : لم يبغ غيرهن. قال تعالى :﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ .

٢ – قتل كعب بن الأشرف[(١)]

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِي اللَّه عَنْهما قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ[(٢)] فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ[(٣)]؟ فَقَامَ

(١) هو كعب بن الأشرف اليهودي القرظي،الشاعر من بني نبهان وهي بطن من طيِّئ، كان أبوه أصاب دما في الجاهلية، فأتى المدينة، فحالف بني النضير، فَشَرُف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحُقَيق، فولدت له كعبا، وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة، كان يهجو النبي ﷺ والمسلمين، ويحرض عليهم الكفار،ولما أصاب المشركين يوم بدر ما أصابهم اشتد عليه، وكان يبكي على قتلى بدر وينشد الأشعار، **ومن ذلك قوله:**

طحنَتْ رحى بدرٍ مهالك أهله ... ولمثل بدر تَسْتهلُّ وتَدْمَع
قُتلت سَراة الناس حول حياضهم ... لا تبعَدُوا إن الملوك تُصَرَّع

فأجابه حسان بن ثابت:

أبكاه كعب ثم عُلَّ بِعَبرة ... منه وعاش مُجَدَّعًا لا يسمع

كان قتله في شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة،وعند ابن سعد في ربيع الأول– والأول أشهر.

(٢) قوله ﷺ :"من لكعب بن الأشرف" أى من يستعد لقتله،ومن الذي ينتدب إليه.

(٣) قوله :"قد آذى الله ورسوله" هذا كناية عن مخالفة الله تعالى ومخالفة نبيه ﷺ وفى رواية عند الحاكم " فقد آذانا بشعره وقوّى المشركين." وأخرج ابن عائذ "أن كعب بن الأشرف قدم على مشركى قريش، فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين. وعن عروة: أنه كان يهجو النبي ﷺ والمسلمين ويحرض قريشا عليهم، وأنه لما قدم على قريش قالوا له : أديننا أهدي أم دين محمد؟ قال دينكم، فقال النبى ﷺ من لنا بابن الأشرف، فانه قد استعلن بعداوتنا. قال ابن حجر: وجدت لقتل كعب سببًا آخر : وهو أنه صنع طعامًا، وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبي ﷺ إلى الوليمة، فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه ، فقام فستره جبريل بجناحه فخرج، فلما فقدوه تفرقوا ، فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب ؟ ويمكن الجمع بتعدد الأسباب.

مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ(١) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَتُحبُّ(٢) أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ: "قُلْ"(٣). فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ(٤) قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً،وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا،وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّه لَتَملُّنَّهُ(٥) قَالَ: إِنَّا قَد اتَّبَعْنَاهُ فَلا نُحبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصيرُ شَأْنُهُ،وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا،أَوْ وَسْقَيْنِ(٦). فَقَالَ: نَعَمِ ارْهَنُونِي. قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي(٧) نِسَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ(٨)؟! قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا

---

(١) هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج حليف لبنى عبد الأشهل ، شهد بدرا والمشاهد كلها كان من فضلاء الصحابة استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، اعتزل الفتنة واتخذ سيفا من خشب وذكر أن رسول الله ﷺ أسرَّه بذلك، ولم يشهد الجمل ولا صفّين- مات بالمدينة سنة ٤٣ ، وقيل ٤٦ ، وقيل ٤٧ هـ

(٢) قوله"أتحب" :استفهام استخباري.

(٣) قوله"فأذن لي أن أقول شيئا":أن أقول ما يعيب رأيك ويظهر الشكوى منك مما يسر كعبا كأنه استأذن أن يفتعل شيئا يحتال به.

(٤) أى أتعبنا بما كلفنا به من الأوامر والنواهي التي فيها تعب، وهذا من التعريض الجائز.

(٥) لتملنه:من الملالة وهو: الضجر ومعناه ليزيدن ملالتكم وضجركم. وعند ابن إسحاق: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء؛ عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحد وقطعت عنا السُّبل حتى جاع العيال وجُهدت الأنفس وأصبحنا قد جُهدْنا وجُهد عيالنا- فقال كعب بن الأشرف: أما والله لقد أخبرتكم أن الأمر سيصير إلى هذا.

(٦) الوسق:حمل بعير وهو ستون صاعا. وقوله:أو وسقين: شك الراوي. وفى رواية عروة :وأحب أن تسلفنا طعاما. قال أين طعامكم؟قالوا: أنفقناه على هذا الرجل وأصحابه. قال :ألم يأْن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل؟.

(٧) ارهنوني:أى ادفعوا لي شيئا يكون رهنا على التمر الذي تريدونه.

(٨) قال ابن حجر: لعلهم قالوا له ذلك تهكما وإن كان هو في نفسه كان جميلا.

فَيَسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ؟ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأمَةَ[١]. فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ،فَجَاءَهُ لَيْلاً[٢] وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ- وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ- فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. قَالَتْ: إِنِي أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ[٣]. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ - إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لأَجَابَ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ، وفي رواية: أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ. فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ[٤] فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ

---

(١) اللأمة:السلاح وقيل الدرع، وعلى هذا فإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم الكل على البعض. وفى مرسل عكرمة: ولكن نرهنك سلاحنا مع علمك بحاجتنا إليه قال: نعم، قال السندي:ومراده ألا ينكر كعب السلاح عليهم إذا أتوه وهو معهم.

(٢) قوله:"فجاءه ليلا" أى فجاء محمد بن مسلمة كعبًا في الليل والحال أن معه أبو نائلة واسمه سِلكان بن سلامة بن وقْش، ويقال سلكان لقب واسمه سعد، شهدا أحدا، وكان من الرماة وكان شاعرا وكان أخا كعب من الرضاعة، قال ابن إسحاق: فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة الأشهلى، وعبّاد بن بشر بن وقش الأشهلى، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة، والحارث بن أوس فهؤلاء خمسة.

(٣) قولها:"كأنه يقطر منه الدم"هذا كناية عن صوت طالب شر وخراب. وعند ابن إسحاق فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر.

(٤) قوله"فإني قائل بشعره فأشمه" أى جاذب بشعره فأشمه وهو من إطلاق القول على الفعل، وقد استعملت العرب لفظ القول في موضوع غير موضوعه من المعاني وأطلقوه على غير الكلام واللسان فيقول: قال بيده أى: أخذ، وقال برجله أى: مشى وقال بالماء على يده أى: قلب، وقال بثوبه: أى رفعه، وكل ذلك على المجاز والاتساع .

فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا(١) وَهُوَ يَنْفَحُ(٢) مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا(٣) – أَيْ أَطْيَبَ – فَقَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ(٤). فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ(٥). فَقَتَلُوهُ(٦) ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرُوهُ(٧) ". رواه البخاري(٨).

---

(١) متوشحا بثوبه:أى متلبسا بثوبه وسلاحه.

(٢) ينفخ:أى يفوح منه ريح الطيب.

(٣) ما رأيت كاليوم ريحا:أى ما رأيت ريحا أطيب في يوم مثل هذا اليوم.

(٤) وفى رواية الواقدي:وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه.

(٥) دونكم:أى خذوه بأسيافكم فاضربوه.

(٦) وفى رواية،وضربه محمد بن مسلمة فقتله. وأصاب ذباب السيف الحارث بـ أوس وأقبلوا حتى إذا كانوا بجرف بُعاث تخلف الحارث ونزف،فلما افتقـ أصحابه رجعوا فاحتملوه، ثم أقبلوا سراعا حتى دخلوا المدينة، وعند الواقدي النبي ﷺ تفل على جرح الحارث بن أوس فلم يؤذه.

(٧) وفى رواية عروة فأخبروا النبى ﷺ فحمد الله تعالى. وعند ابن سعد فلما بلغـ بقيع الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلى، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنه قُتل، ثم انتهوا إليه، فقال:أفلحت الوجوه، فقالوا : ووجهك ـ رسول الله، ورموا رأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

(٨) صحيح البخاري"كتاب المغازي" باب قتل كعب بن الأشرف حديث رقم ٤٠٣٧

ويؤخذ من الحديث:

- قال السهيلي: في قصة كعب بن الأشرف: قتل المعاهد إذا سب الشارع خلافا لأبي حنيفة.
- جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته.
- جواز الكلام الذي يُحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته.
- قوة فطانة امراة كعب بن الأشرف وصحة حديثها وبلاغتها في إطلاقها أن الصوت يقطر منه الدم.

وفي بشرى العاشقين يقول شيخنا الخطيب رضي الله عنه عن اليهود:

إن اليهود وقانا الله شرَّهمو — في اللؤم قد بلغوا الأقصى من الرقم
كم استطالوا على من أُرسلوا سفها — وقتَّلوهم وكم آذوا لربهم
بالمصطفى استفتحوا[1] من قبل مبعثه — وبعده جحدوا المعروف كابنهم
العجلَ قد عبدوا والزورَ قد شهدوا — والله قد جحدوا خاسوا[1] بعهدهم

(١) استفتحوا: طلبوا النصر على أعدائهم به ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ ٨٩ البقرة.

(٢) خاسوا بعهدهم: لم يوفوا به.

٣- قتل أبي رافع عبد الله، أو سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق[١]

عَنِ الْبَرَاءِ، بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالا مِنَ الأَنْصَارِ[٢]، فَأَمَّرَ[٣] عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ[٤]، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ[٥]، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ[٦] فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ. فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ[٧] بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي

---

(١) يهودي كان بخيبر، ويقال: كان في حصن له بأرض الحجاز،وقال ابن سعد: قُتل في رمضان سنة ست،وقيل فيها: سنة أربع، وقال الزهري: قتل بعد قتل كعب بن الأشرف. قال ابن إسحق: لما قتلت الأوس كعب بن الأشرف استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر.

(٢) قال العيني: منهم عبد الله بن عَتيك ومسعود بن سِنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ وخزاعي بن الأسود الأسلمي

(٣) أمَّر بتشديد الميم : جعله أميرا عليهم.

(٤) قال عروة: أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ .

(٥) الحجازبكسر الحاء: قطر معروف من أقطار الجزيرة العربية،وقد كثرت الأقوال في تحديده وما قاله العلماء في تحديده ووصفه يدل على أنه يشمل جميع سلاسل جبال السَّرَوَات الممتدة من أقصى اليمن شمالا بحذاء ساحل البحر الأحمر إلى نهايتها في بلاد الشام.

(٦) راح الناس بسرحهم: رجعوا بمواشيهم التي ترعى، والسرح : بفتح السين وسكون الراء هي: السائحة من إبل وبقر وغنم.

(٧) تقنع:تغطى بثوبه ليخفى شخصه كي لا يعرف، وأصل القنع: إلقاء القناع على الرأس لِيَقِيَ نحو العمامة عما به من دهن وغيره.

حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ به[١] الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللَّه إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ. فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ[٢]، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ[٣]. قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَغَالِيقِ، فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ[٤] عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ[٥]، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِه صَعِدْتُ إِلَيْه، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي[٦] لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْه، فَإِذَا هُوَ فِي

---

(١) أى ناداه. فإن قيل كيف قال : البواب يا عبد الله فهذا يدل على أنه عرفه فلو عرفه لما مكنه من الدخول مع أنه كان مستخفيا منه؟ أجيبك: بأنه لم يرد اسمه العلم بل الظاهر أنه أراد المعنى الحقيقي؛ لأن الكل عبيد الله.

(٢) كمَنْت:تواريت واستخفيت وفى رواية: ثم اختبأت في مَرْبط حمار عند باب الحصن.

(٣) الأغاليق: المفاتيح وأحدها إغليق، الوتد: بفتح الواو والتاء جمعه أوتاد ووتدت الوتد أثبته بحائط أو بالأرض.

(٤) السمر: الحديث بالليل يقال: هم القوم الذين يسمُرُون بالليل أى يتحدثون، وقوله يُسْمَرُ عنده على صيغة المجهول أى يتحدثون عنده .

(٥) العلالى: جمع عُلِيَّة بضم العين وكسر اللام وتشديد الياء وهى الغرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها، وفى رواية: وكان في علية له إليها عجلة وهو السلم من الخشب، وقيده ابن قتيبة بخشب النخل. قال ابن الأثير: العجلة من نخل يُنقر الجذع، ويُجعل فيه مثل الدرج؛ ليصعد فيه إلى الغرف وغيرها.

(٦) نذروا بي: أى علموا أصله من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يُحذر منه وذكر ابن سعد: أن عبد الله بن عتيك كان يرطن باليهودية، فاستفتح، فقالت له امراة أبي رافع: من أنت؟ قال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له.

وفي رواية يوسف: ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فأغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم.

بَيْت مُظْلم وَسْطَ عِيَاله، لا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْت فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِع. فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْت[1] فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً[2] بالسَّيْف، وَأَنَا دَهِش[3] فَمَا أَغْنَيْتُ[4] شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْت، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيد، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْه فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِع؟ فَقَالَ: لأُمِّكَ الْوَيْلُ[5]، إِنَّ رَجُلا في الْبَيْت ضَرَبَني قَبْلُ بالسَّيْف، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ[6] وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْف[7] في بَطْنه حَتَّى أَخَذَ في ظَهْره، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَة لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلي وَأَنَا أُرَى[8] أَنِّي قَد انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ فَوَقَعْتُ في لَيْلَة مُقْمرَة، فَانْكَسَرَتْ سَاقي، فَعَصَبْتُهَا[9] بعمَامَة، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَاب، فَقُلْتُ: لا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ – فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي[10] عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا

---

(١) فأهويت نحو الصوت: أى قصدت نحو صاحب الصوت.

(٢) فأضربه ضربة: ذكره بلفظ المضارع مبالغة؛ لاستحضار صورة الحال.

(٣) قوله وأنا دهش : جملة إسمية وقعت حالا، ودَهَش: تحير.

(٤) فما أغنيت: أى لم أقتله.

(٥) لأمك الويل: دعاء عليه والويل مبتدأ،ولأمك خبره مقدما.

(٦) أثخنته: أى بالغتُ في جراحته

(٧) ظبة السيف: طرفه المدبب وحَدّه قال في المحكم : الظُّبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبهه.

(٨) وأنا أرى: أى أظن.

(٩) وفى رواية: ثم رجعت دهشًا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل، فأسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها. ولا معارضة بينهما لاحتمال أنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق أو المراد من كل منهما مجرد اختلال الرجل.

(١٠) الناعي: مأخوذ من النَّعْي وهو: خبر الموت، والناعي هو المخبر بالموت، قال الأصمعي: إن العرب إذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا فسار فقال: أنعى فلان.

رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ. فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ[١]، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ. فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ لِي: "ابْسُطْ رِجْلَكَ" فَبَسَطْتُ رِجْلِي، فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ[٢]. رواه البخاري[٣]

(١) فقلت النجاء:أى: أسرعوا وفى رواية ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت: انطلقوا، فبشروا رسول الله ﷺ . والحَجْل: أن يرفع رجلا ويقف على أخرى.

(٢) فكأنها لم أشتكها قط: أى فكأن رجلي لم أشتكها قط. فزال عنه جميع الألم ببركته ﷺ.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب قتل أبي رافع حديث رقم ٤٠٣٩ .

من فوائد الحديث:

- جواز قتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده، أو ماله، أو لسانه.
- جواز التجسس على أهل الحرب.
- الأخذ بالشدة في محاربة المشركين.
- جواز إبهام القول للمصلحة.
- جواز الحكم بالدليل والعلامة؛ لاستدلال عبد الله بن عَتيك رضي الله عنه على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدته نشيد الإسلام:

عاهدوا المختار في بكة أن ... يدفعوا عنه خفاء وعلن
فهمو من ضده أقوى جنن ... وبما أعطوه من عهد يفون

ويقول أيضا في هذه القصيدة:

لم أقاتل غير من قد صدني ... عن سبيلي مؤذيا من ودني
بعد صبر وبلاء كدني ... كاد أهلي من لظاه يفتنون

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين:

ما أحسن العفو جلابا لعافية ... وأقبح العفو عفاء على الحرم
من يبغ قتلك أوصدا لدينك أو ... هتكا لعرضك إن تقتله لم تُلَم
ما قاتل الناس إلا من يقاتله ... أوصد عن دينه أو خاس بالذمم
فهل يلام ؟ وأنى ؟ وهو متبع ... أمر المدبر في حرب وفى سلم

٤ – قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (*).

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أنه قَالَ لوحشي(١): أَلا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ(٢) – وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ(٣)، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ(٤) – خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ(٥) فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ(٦)

(*) هو حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ ،قال ابن سعد: كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد بسيفين ويقول: أنا أسد الله وجعل يُقْبل ويُدبر، فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره، وبصُر به الأسود فزرفه بحربة فقتله،وأن هندًا لما لاكت كبده ولم تستطع أكلها قال رسول الله ﷺ أأكلَت منها شيئا؟،قالوا:لا ،قال: ما كان الله أن يدخل شيئا من حمزة النار.

(١) هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدى كان يكنى أبا رسمة وكان يرمى بحربة فلا يكاد يخطئ وقال موسى بن عقبة: مات وحشي بن حرب في الخمر- وليس في الصحابة من سمى باسمه غيره.

(٢) عام عينين "تثنيه عين" أى عام واقعة أحد.

(٣) قوله" وعينين جبل بحيال أحد": أى من ناحية أحد، يقال فلان حيال كذا، أى: مقابله، وهذا تفسير لبعض الرواة. قال ابن حجر: والسبب في نسبة وحشي العام إليه دون أحد أن قريشا كانوا نزلوا عنده،قال ابن إسحاق:نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

(٤) الوادي:كل منفرَج بين جبال، أو آكام يكون منفذا للسيل، والجمع أودية.

(٥) هو سباع بن عبد العزى الخزاعي ثم الغبشاني كنيته أبو نيار.

(٦) أم أنمار:أُمُّهُ، وكانت مولاة لشريق بن عمرو الثقفي والد الأخنس.

مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ[١]، أَتُحَادُّ[٢] اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ[٣]- قَالَ : وَكَمَنْتُ[٤] لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ[٥] حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ. قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ[٦]، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ، حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ[٧]، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لا يَهِيجُ الرُّسُلَ[٨]- قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: "آنْتَ وَحْشِيٌّ؟" قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: "أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟". قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ. قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟"[٩]. قَالَ:

---

(١) مقطعة البظور:جمع بظر، وهى: اللحمة الكائنة بين شفرتي الفرج ،تقطع عند الختان، وكانت أمه ختانة بمكة تختن النساء، فعيره بذلك.

(٢) أتحاد: أى أتعاند، وأصل المحاددة أن يكون ذا في حد ، وذا في حد، ثم استعمل في المعاداة والمخالفة والمنازعة.

(٣) قوله:"فكان كأمس الذاهب": هذا كناية عن إعدامه إياه بالقتل في الحال، والذاهب صفة كاشفة أى كان مثله في العدم.

(٤) وكمنتُ:أى استترتُ واختفيتُ،وفى رواية عند شجرة، روى ابن أبي شيبة: أن حمزة عثر، فانكشف الدرع عن بطنه، فأبصره العبد الحبشي، فرماه بالحربة.

(٥) الثنة:بضم الثاء وتشديد النون هي: العانة،وقيل: ما بين السرة والعانة.

(٦) قوله فكان ذاك العهد به : هذا كناية عن موت حمزة رضي الله عنه.

(٧) أى أقمت بمكة إلى أن ظهر فيها الإسلام، ثم خرجت منها،وفى رواية فلما افتتح رسول الله ﷺ مكّة هربت منها إلى الطائف.

(٨) إنه لا يهيج الرسل:أى لا ينالهم منه إزعاج.

(٩) وفى رواية غَيِّبْ وجهك عنى فلا أراك.

فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلَمَةُ الْكَذَّابُ[١] قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلَمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ[٢] به حَمْزَةَ- قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ- فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثُلْمَةِ جِدَارٍ[٣]، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ[٤] ثَائِرُ الرَّأْسِ- قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ- قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ[٥]، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.[٦] " رواه البخاري[٧]

---

(١) فخرج مسيلمة الكذاب:بكسر اللام صاحب اليمامة على أثر وفاة النبي ﷺ وادعى النبوة، وجمع جموعا كثيرة لقتال الصحابة وجهز له أبو بكر الصديق جيشا وأمَّرَ عليهم خالد بن الوليد.

(٢) فاكافئ به:أي فأساوى بقتل مسيلمة قتل حمزة وأقابله به، قال الزبيدي:وهو تأكيد وخوف وإلا فلا ريب أن الإسلام يجب ما قبله .

(٣) الثُّلمة في الحائط وغيره: الخلل، والجمع ثُلَم.

(٤) جمل أورق: أي أسمر لونه مثل الرماد، وكان ذلك من غبار الحرب وقال العيني: بل كان كذلك من سواد كفره وانهماكه في الباطل.

(٥) قوله: ووثب عليه رجل من الأنصار،هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، وقيل هو عدي بن سهل،وقيل أبو دجانة بن عبد الله ،وقال ابن عبد البر: أن الذي قتله هو خلاس بن بشير بن الأصم.

وفى رواية الطيالسي: فربك أعلم أيُّنا قتله فإن أكُ قتلته فقد قتلت خير الناس وشر الناس.

(٦) هامته:أى رأسه، فقالت جارية على ظهر بيت تندبه: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود،وإنما ذكرته بلفظ الإمرة وإن كان يدعى الرسالة لما رأته من أن أمور أصحابه الذين صدقوه كلها كانت إليه.

(٧) صحيح البخاري كتاب المغازي باب قتل حمزة ﷺ حديث رقم ٤٠٧٢ .

وفى الحديث من الفوائد:

- مكانة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.
- أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذي،ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما.
- الحذر في الحرب وأن لا يحتقر المرء منها أحدًا، فإن حمزة لا بد أن يكون رأى وحشيا في ذلك اليوم، لكنه لم يحترز احتقارا منه إلى أن أُتِيَ من قِبَلِهِ.

وتحت عنوان من فضائل الجهاد يقول شيخنا الخطيب رضي الله عنه في ديوانه وحي الحديث :

واطلب حياتك بالممات مجاهداً في الله عند الله من أحياكا
ما بين منزلتين من مائة له ما بين أرضك هذه وسماكا
كم للشهيد شفاعة في أهله ودم كمسك فاح منه شذاكا

٥ - النبي ﷺ والأعرابي الذي أراد قتله

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا- أَنَّهُ، غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْد(١)، فَلَمَّا قَفَلَ(٢) رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاه(٣)، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاه يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ(٤)، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَدْعُونَا. فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ(٥)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي(٦)، وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَهُوَ فِي يَده

---

(١) قبل نجد:أى جهة نجد، والنجد: ما ارتفع من الأرض، وهو اسم خاص لما دون الحجاز مما يلي العراق، وتستعمل اصطلاحا على المنطقة الوسطى من جزيرة العرب. جاء في معجم الأمكنة: نجد تشمل المنطقة الوسطى من جزيرة العرب،وتنحدر انحدارا تدريجيا نحو الشرق الشمالي، وتمتد من صحراء النفود في الشمال إلى الربع الخالي في الجنوب ومن حدود الإحساء شرقا إلى حدود الحجاز وعسير غربا،والحاصل أن غزوة ذات الرقاع كانت بنجد.

(٢) قفل:أى رجع رسول الله ﷺ .

(٣) العضاه:كل شجر عظيم له شوك كالطلح والعوسج. الواحدة عِضاهة.

(٤) قوله تحت سمرة:أى: شجرة كثيرة الورق.

(٥) كلمة إذا للمفاجأة، وفى رواية يحي بن أبي كثير: فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه فقال:أتخافني؟ قال:لا قال: فمن يمنعك؟ قال: الله ، وفى رواية معمر: فإذا أعرابي قاعد بين يديه واسمه غورث.

(٦) اخترط سيفي أى: سلّه من غمده.

صَلْتًا[١]، فَقَالَ: لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ". ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢]. رواه البخاري[٣].

---

(١) صلتا:بفتح الصاد وسكون اللام: أى مجردا من الغمد بمعنى مصلوتا وهو منصوب على الحال.

(٢) إنما فعل ﷺ ذلك مع الأعرابي لشدة رغبته في استئلاف الكفار؛ ليدخلوا الإسلام، ولم يؤاخذه بما صنع، بل عفا عنه،وذكر الواقدي أنه أسلم، وأنه رجع إلى قومه فاهتدي به خلق كثير.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي،باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم ٤١٣٥.

قال شيخنا الخطيب رضي الله عنه في ديوانه وحي الحديث:

يا مسدي المعروف عمم باغيا ... وجه الذي إسداءه أولاكا
لا تبغين به مطيق جزائه ... ماضاع ما استودعته مولاكا

وقال في ديوانه رباعيات الخطيب :

قدرت على العداة وقد عفوتا ... وخير العفو عفوك إذ قدرتا
ومن يعلو علاك وقد صفحتا ... عن الجاني ولم يُلم الملوم

٦ – معجزة الرسول ﷺ في المجاهد الذي أخبر أنه من أهل النار

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد السَّاعديِّ- رَضي اللّه عَنْه أَنّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَره(١)، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَاب رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ رَجُلٌ(٢) لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً(٣) إِلا اتَّبَعَهَا، يَضْرِبُهَا بسَيْفه، فَقيلَ: مَا أَجْزَأَ(٤) منَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ منْ أَهْلِ النَّار(٥)". فَقَالَ رَجُلٌ منَ الْقَوْم(٦): أَنَا صَاحبُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ- قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَديدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ(٧) بَيْنَ

---

(١) قوله"فلما مال رسول الله ﷺ إلي عسكره" أى رجع رسول الله ﷺ بعد فراغ القتال في ذلك اليوم.

(٢) قالوا: إن اسم هذا الرجل قُزْمان الظَّفري نسبة إلى بني ظَفر بطن من الأنصار وكان يكنى أبا الغَيْداق.

(٣) شاذة وفاذة:الشاذة اسم ما انفرد عن الجماعة،والفاذة ما لم يختلط بهم، وهما صفة لمحذوف أى: نَسَمَة ، والمعنى أنه لا يلقى شيئا إلا قتله،وقيل المراد بالشاذ والفاذ ما كبر وصغر،وقيل: الشاذ الخارج والفاذ المنفرد.

(٤) ما أجزأ: أى ما أغنى.

(٥) وفى رواية فقالوا:أينا من أهل الجنة إذا كان هذا من أهل النار. وفي حديث أكثم ابن أبي الجون عند الطبراني: قال قلنا يا رسول الله فلان يجزئ في القتال. قال: هو في النار، قلنا يا رسول الله: إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟قال ذلك إخبات النفاق فكنا نتحفظ عليه في القتال.

(٦) قوله" فقال رجل من القوم" اسمه أكثم بن أبي الجون .

(٧) ذباب السيف:طرفه الذي يضرب به .

ثَدْيَيْه، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِه، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "وَمَا ذَاكَ[(١)]"؟. قَالَ: الرَّجُلُ الَّذي ذَكَرْتَ آنفًا أَنَّهُ منْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ به[(٢)]. فَخَرَجْتُ في طَلَبه، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَديدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفه في الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْه، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْه، فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عنْدَ ذَلكَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّة، فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ، وَهُوَ منْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ، وَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة[(٣)]". وفي رواية: فقال النبي ﷺ: "قُمْ يَا بِلالُ فأذِّنْ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاَّ مُؤْمنٌ[(٤)]، إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجرِ[(٥)]. أخرجه البخاري[(٦)].

---

(١) أي: ما سبب هذه الشهادة ؟

(٢) أتبعه حتى أرى ماله.

(٣) قال الزبيدي:فيه تحذير من الاغترار بالأعمال ، قال المهلب:هذا الرجل ممن أعلمنا ﷺ أنه نفذ فيه الوعيد من الفساق، ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضي عليه في النار ، وقال السفاقسي:يحتمل أن يكون قوله: وهو من أهل النار إن لم يُغفر له ،ويحتمل أنه إخبار عنه بأنه سيرتد، ويستحل قتل نفسه.

(٤) فيه تنبيه وإشعار بسلب الإيمان عن هذا الرجل .

(٥) في رواية الكشميهني:"ليؤيد" واللام يحتمل أن تكون للعهد والمراد به قُزمان المذكور الذي قتل نفسه ويحتمل أن تكون للجنس فيعم كل فأجر .

(٦) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم ٤٢٠٣ ، ٤٢٠٤

وفى الحديث :

التحذير من الاغترار بالأعمال، وقد أعلمنا من لا ينطق عن الهوى ﷺ أن الرجل حق عليه الوعيد بالعذاب إما المؤبد إن كان انضم إلى قتل نفسه كفرا، أو المؤقت إلى حيث شاء الله .

يقول شيخنا الخطيب في نقاية التصوف:

ولا تـــرى أقـــل منـــك أحـــدا حـــتى تمـــوت مؤمنـــا موحـــدًا
فخف رحيمـــا وارجـــه مراحمـــه لا سيما الحسنى وحسن الخاتمـــه
فكم شكور قـــد قضـــى كفـــورا وكم كفور قد قد قضى شـــكورا
مـــا قيمـــة الأعمـــال والإراده ســـابقة بـــالنحس والســـعاده
فـــالغر مـــن يغتـــر أو يتكـــل والله قال يـــا عبـــادي اعملـــوا

ويقول ﷺ في قصيدته الطريق إلى الله :

وخل نفسك واصدق في معاملـــة وارحل إليه تنل خـــيرًا وتغتـــنم
وخل همـــك وجـــه الله منفـــردًا تُكْف الهموم وتبلغ قمـــة القمـــم
واعبده بالعلم والإخـــلاص إنهمـــا روح العبادة من فعل ومن كلـــم

٧ – عُمَرُ وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ رضي الله عنهما

عَنْ أَبِي مُوسَى- رَضِي اللَّه عَنْه- قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ(١) وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْه أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ(٢) وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا(٣) جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ – رَضِي اللَّه عَنْه- فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا(٤)، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا- يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ(٥)، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَى حَفْصَةَ

---

(١) قوله مخرج بفتح الميم: إما مصدر ميمي بمعنى خروجه أي بعثته أو هجرته، أو اسم زمان بمعنى: وقت خروجه. قال ابن حجر: ظاهره أنه لم يبلغهم شأن النبي ﷺ إلا بعد الهجرة بمدة طويلة، وهذا إن كان أراد بالمخرج البعثة، وإن أراد الهجرة فيحتمل أن تكون بلغتهم الدعوة فأسلموا، وأقاموا ببلادهم إلى أن عرفوا بالهجرة، فعزموا عليها، وإنما تأخروا هذه المدة إما لعدم بلوغهم الخبر بذلك، وإما لعلمهم بما كان المسلمون فيه من المحاربة مع الكفار، فلما بلغتهم المهادنة آمنوا وطلبوا الوصول إليه.

(٢) أبو بردة اسمه عامر بن قيس، وأبو رهم قيل اسمه مجديّ، وجزم ابن حبان بأن اسمه محمد، وذكر ابن قانع أن اسمه مجيله بكسر الجيم وسكون الياء.

(٣) وافقنا جعفر: صادفنا بأرض الحبشة.

(٤) ذكر ابن إسحاق: أن النبي ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي أن يجهز إليه جعفر ابن أبي طالب ومن معه فجهزهم وأكرمهم وقدم بهم عمرو بن أمية وهو بخيبر، وسَمَّى ابن إسحاق من قدم مع جعفر وهم ستة عشر رجلاً فيهم امرأته أسماء بنت عميس، وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته وأخوه عمرو بن سعيد، ومعيقيب بن أبي فاطمة.

(٥) هي أسماء بنت عميس بن سعد بن الحارث بن تميم بن كعب الخثعمية وأمها هند بنت عوف، وهي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس، وزوجها جعفر بن أبي طالب، ولما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق ﷺ، وولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب ﷺ، فولدت له يحي بن علي بن أبي طالب.

زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ ﷺ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: آلْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ آلْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ(١)؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ. قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكُمْ. فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ(٢) بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣)، وَايْمُ اللَّهِ، لا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لا أَكْذِبُ وَلا أَزِيغُ وَلا أَزِيدُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: " فَمَا قُلْتِ لَهُ؟" قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: " لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ(٤) هِجْرَتَانِ " (٥).

---

(١) نسبها إلى الحبشة لسكناها فيها، ونسبها إلى البحر لركوبها البحر.

(٢) البعداء بضم الباء وفتح العين جمع بعيد، أي: البعداء عن الدين، والبغضاء جمع بغيض، يعني: البغضاء للدين.

(٣) قولها: وذلك في الله ورسوله "أي لأجل الله وطلب رضاه ولأجل رسوله ﷺ.

(٤) أهل: منصوب على الاختصاص أو على حذف حرف النداء.

(٥) قوله هجرتان: إحداهما إلى ، والأخرى إلى النبي ﷺ .وعن الشعبي قال: قالت أسماء بنت عميس يا رسول الله إن رجالاً يفخرون علينا، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين فقال: بل لكم هجرتان؛ هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك. قال ابن حجر: ظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين، لكن لا يلزم منه تفضيلهم على الإطلاق- بل من الحيثية المذكورة.

رواه البخاري[1].

وفي نفس الرواية للبخاري: قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يـأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم بـه أفـرح ولا أعظـم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم ٤٢٣٠، ٤٢٣١ .

وعن هجرة أصحاب النبي ﷺ يقول شيخنا الخطيب ؓ في ديوانه بشرى العاشقين:

فقال للصحب سيروا فاقصدوا حبشا ... خوف الأحابيش أهل الهتك للحـرم

وحينما وصـلوها واصـلوا ملكـا ... كأنه ملـك في العـدل والـرحم

فجاوروا خير جـارٍ عنـده أمنـوا ... دينا ودنيـا ولم يلحـق أذى بهـم

والله أكرمـه إذ فيـه أكـرمهم ... بأن هـداه لـدين مقسـط قـيم

وأن نعاه إلى المختـار حـين قضـى ... وأن رآه علـى بعـد مـن الحـرم

وأن دعا صـحبه يسـتغفرون لـه ... ويرتجون له من فـيض ذي الكـرم

وأنـه إذ هـدى للنـور حفرتـه ... النور بادٍ بهـا في حالـك الطسـم

٨ - النبي ﷺ والأعرابي الموعود

عَنْ أَبِي مُوسَى- رَضِي اللَّه عَنْه- قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَة(١) بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَة وَمَعَهُ بِلالٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي(٢)؟ فَقَالَ لَهُ: "أَبْشِرْ(٣)" فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ. فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلالٍ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَان فَقَالَ: "رَدَّ الْبُشْرَى فَاقْبَلا أَنْتُمَا". قَالا: قَبِلْنَا. ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيه مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْه وَوَجْهَهُ فِيه، وَمَجَّ فِيه، ثُمَّ قَالَ: "اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا(٤)، وَأَبْشِرَا". فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلا، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ(٥) مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلا لأُمِّكُمَا.

---

(١) الجعرانة: بكسر الجيم وسكون العين وقد تكسر وتشدد الراء، موضع شرق مدينة مكة، وجاء في معجم الأمكنة: في الأصل بئر تقع شمال شرقي مكة في صدر وادي سَرِف الذي يسمى بها هناك، ثم اتخذت عمرة: إقتداء باعتمار الرسول ﷺ منها بعد غزوة الطائف، فيها اليوم مسجد كبير وبستان صغير يشرف عليها في الشمال الشرقي جبل أظلم، ويربطها بمكة طريق معبد تمتد إلى وادي الزبارة، ماؤها يضرب بعذوبته المثل، المسافة بين الجعرانة ومكة تبلغ٢٦ كيلو تقريباً والطريق إليها مسفلت جداً.

(٢) ألا تنجز لي: أي ألا توفي لي ما وعدتني؟ وهذا الوعد الذي ذكره يحتمل أن يكون وعداً خاصاً لهذا الأعرابي، ويحتمل أن يكون من الوعد العام الذي وعد أن يقسم غنائم حنين بالجعرانة بعد رجوعه من الطائف، وكان طلبه التعجيل بنصيبه منها.

(٣) أبشر: يعني أبشر أيها الأعرابي بقرب موعد القسمة، أو بالثواب الجزيل على الصبر.

(٤) النحر: موضع القلادة من الصدر، والجمع نحور، وتطلق النحور على الصدور، وقال ابن الأثير: النحر أعلى الصدر.

(٥) وهي زوج النبي ﷺ أم المؤمنين، ولهذا قالت لأمكما.

فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً(١). رواه البخاري(٢) .

(١) طائفة: أي بقية، وقال ابن الأثير: الطائفة: القطعة من الشيء.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم٤٣٢٨

وفي الحديث :

- سعة صدر رسول الله ﷺ وعظيم حلمه.
- قبول بشارة رسول الله ﷺ ففيها سعادة الدنيا والآخرة، وأن ردَّها كان سببًا في أن رسول الله ﷺ كان كهيئة الغضبان.
- التبرك بفضلة ماء رسول الله ﷺ وماله من عظيم الأثر ظاهرًا وباطنًا حيث أمرهما ﷺ بالشرب منه وغسل وجهيهما ونحريهما ؛ لتحقيق البشرى لهما.
- حرص السيدة أم سلمة – رضي الله عنها – على ألا يفوهّا هذا الفضل العظيم.
- منقبة لأبي موسى وبلال وأم سلمة – رضي الله عنهم- .

وتحت موضوع من سياسته ﷺ قال شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين:

لـــولا ســـهولته لـــولا مرونتـــه ... لـــولا مروءتـــه ذا الـــدين لم يقـــم
أعظـــم بهمتـــه أشـــرف بذمتـــه ... أكرم بقيمتـــه في الحلـــم كـــالعلم
فكم مسيء بحسن الصـــفح قابلـــه ... وكم عبـــوس أراه بشـــر مبتســـم
انظـــر روائعـــه انظـــر بدائعـــه ... انظـــر جوامعـــه دريـــة الكلـــم

٩ - الطاعة في المعروف

عَنْ عَلِيٍّ -رَضِي اللَّه عَنْه- قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـه وَسَـلَّمَ سَرِيَّةً(١)، فَاسْتَعْمَلَ عليها رَجُلا مِنَ الأَنْصارِ(٢)، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطيعُوهُ. فَغَضِبَ(٣) فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنْ تُطيعُوني؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا. فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا. فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَـا. فَهَمُّوا(٤)، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّـه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ. فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ(٥)، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ(٦) فَقَالَ: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٧)،

---

(١) السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة وتبعث على العدو وجمعها السـرايا سُمُّوا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السـري النفـيس، وقيل سموا بذلك لأنهم ينفذون سراً وخفية. قاله ابن الأثير.

(٢) قال ابن سعد: هو عبد الله بن حذافة السهمي.

(٣) وعند مسلم فأغضبوه في شيء.

(٤) فَهَمُّوا: فسره الكرماني بقوله: حزنوا، قال العيني: وليس كذلك بل المعـنى قصـدوا الدخول، والدليل عليه رواية حفص: فلما هموا بالدخول فيها فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض، وفي حديث أبي سعيد: أنهم تحجزوا حتى ظُن أنهم واثبون فيها فقال: احبسـوا أنفسكم فإنما كنت ضحكت معكم.

(٥) خمدت النار: انطفأ لهيبها.

(٦) وعند مسلم: فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ.

(٧) يعني أن الدخول فيها معصية، والعاصي يستحق النار والمراد بقوله: يوم القيامة التأبيد؛ يعـني لو دخلوها مستحلين له لما خرجوا منها أبداً، قال ابن حجر: في العبارة نوع مـن أنـواع البديع وهو الاستخدام لأن الضمير في قوله "لو دخلوها" للنار التي أوقدوها، والضمير في قوله "ما خرجوا منها أبداً" لنار الآخرة لأنهم ارتكبوا ما نُهوا عنه من قتل أنفسهم، ويحتمل وهـو الظاهر أن الضمير للنار التي أوقدت لهم، أي: ظنوا أنهم إذا دخلوا بسبب طاعة أميرهـم لا تضرهم، فأخبرهم النبي ﷺ أنهم لو دخلوا فيها لاحترقوا، فماتوا فلم يخرجوا.

الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[١]. رواه البخاري ومسلم[٢].

---

(١) الطاعة في المعروف: يعني الطاعة للمخلوق في أمر عرف بالشرع.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي حديث رقم٤٣٤٠، صحيح مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمير في غير معصية.

وفي الحديث من الفوائد:

- أن الحكم في حال الغضب ينفذ منه ما لا يخالف الشرع وأن الغضب يغطي على ذوي العقول.
- أن الإيمان بالله ينجي من النار لقولهم : "إنما فررنا إلى النبي ﷺ" والفرار إلى النبي ﷺ فرار إلى الله، والفرار إلى الله يطلق على الإيمان. قال الله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.
- أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال بل يخص بما كان منه في غير معصية؛ لأنه ﷺ إنما أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب، وفي حال الأمر بالمعصية، فبين لهم أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية.
- استنبط الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة من هذا الحديث أن الجمع في هذه الأمة لا يجتمعون على خطأ، لانقسام السرية إلى قسمين؛ منهم من هان عليه دخول النار فظنه طاعة، ومنهم من فهم حقيقة الأمر وأنه مقصور على ما ليس بمعصية، فكان اختلافهم سبباً لرحمة الجميع.
- أن من كان صادق النية لا يقع إلا في خير ولو قصد الشر فإن الله يصرفه عنه، ولهذا قال بعض أهل المعرفة: من صدق مع الله وقاه الله ومن توكل على الله كفاه الله .

وتحت عنوان حب الله في طاعته يقول شيخنا الخطيب ؓ في ديوانه وحي الحديث

لا تدعي حبي وتترك طاعتي	**وتعين أعدائي فأين وفاكا؟**
أرأيت ذا حب دعاه حبيبه	**فيما يعود له فقال: وراكا؟**
أتريد رحمتنا وتعصي أمرنا؟	**قل لي بربك: أين منك حياكا؟**
وسعت جميع الخلق رحمتنا هنا	**وبها نخص المتقين هناكا**

١٠- يَسِّرا ولا تُعَسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا

عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلافٍ(١)، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلافَانِ، ثُمَّ قَالَﷺ: "يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا(٢)". فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ قال: وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا(٣)، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ(٤) قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ

---

(١) المخلاف: بكسر الميم وسكون الخاء بلغة أهل اليمن هو الكورة، والإقليم، والرُّستاق وأرض اليمن مخلافان، وكانت لمعاذ الجهة اليمنى على صوب عدن، وكان من عمله الجند، وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السفلى.

(٢) اليسر بضم السين وسكونها ضد العسر، وفي التنزيل ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ (٦/الشرح)، فطابق بينهما، والبشر طلاقة الوجه وبشاشته، وهو ضد النَّفْر. والمنفِّر من يلقى الناس بالغلظة والشدة فينفرون عن الإسلام والدين، والمعنى لا تلقوهم بما يحملهم على النفور.

قال الطيبي: هو معنى الثاني من باب المقابلة المعنوية لأن الحقيقة بشرا ولا تنذرا، وآنسا ولا تنفرا، فجمع بينهما، ليعم البشارة والنذارة، والتأنيس والتنفير. قال ابن حجر: ويظهر لي أن النكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل، وبلفظ التنفير وهو اللازم، وأتى بالذي بعده على العكس؛ للإشارة إلى أن الإنذار لا ينفر مطلقا بخلاف التنفير، فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير. فكأنه قيل: إن أنذرتم فليكن بغير تنفير، كقوله تعالى: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾٤٤/طه.

(٣) أي جدد العهد بزيارته.

(٤) وقع في رواية سعيد بن أبي بردة أنه يهودي.

اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَيُّمَ[١] هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلامِهِ. قَالَ: لا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ. فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ[٢]، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ[٣] تَفَوُّقًا. قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ، وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي[٤] مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي[٥] كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي[٦]. رواه البخاري[٧] .

---

(١) أيم: بفتح الهمزة وضم الياء المشددة وفتح الميم أصله أي التي للاستفهام فزيدت عليها كلمة ما فقيل أيما، وقد تسقط الألف فتصير أيم وقد سُمِعَ أَيْـمَ هـذا بـالتخفيف، والمعنى: أي شيء هذا.

(٢) أي فقال معاذ: لأبي موسى يا عبد الله وهو اسم أبي موسى.

(٣) أتفوقه تفوقاً: أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد شيء وحيناً بعد حين، يعني لا أقرؤه دفعة واحدة بل هو كما يُحلب اللبن ساعة بعد ساعة، وأصله مأخوذ من فَوَاق الناقة وهو أن تُحْلَب ثم تُتْرَك ساعة حتى تَدُر، ثم تحلب هكذا دائماً.

(٤) المراد أنه جَزَّأَ الليل أجزاء، جزءاً للنوم، وجزءاً للقراءة، وجزءاً للقيام.

(٥) أي أطلب ثواب نومتي.

(٦) معناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب. قال العيني: وطلب الثواب في القومة ظاهر، أما في النومة فلأنه من جملة المعينات على الطاعة من القراءة ونحوها.

(٧) صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن حديث ٤٣٤١، ٤٣٤٢

ويؤخذ من القصة:

١- أنه يجب قتل المرتد إذا كان رجلا وهو إجماع، وإنما وقع الخلاف هل تجب استتابته قبل قتله أو لا؟ فذهب الجمهور إلى وجوب الاستتابة لما ثبت في رواية: فدعاه أبو موسى عشرين ليلة، أو قريباً منها، وجاء معاذ فدعاه فأبى فضرب عنقه، وذهب الحسن وطاووس وأهل الظاهر إلى عدم وجوب استتابة المرتد وأنه يقتل في الحال؛ لحديث "من بدل دينه فاقتلوه". أما إذا كانت امرأة فقال الشافعي تقتل، وقال أبو حنيفة لا تقتل ولكن تحبس حتى تسلم.

٢- أن أبا موسى كان عالماً فطناً حازماً ولولا ذلك لم يولّه النبي ﷺ الإمارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم علي، أما الخوارج والروافض فنسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة؛ لما صدر منه في التحكيم بصفين، وقال شيخنا الخطيب: لا ينبغي للمسلم أن يخوض فيما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم من حروب ومنازعات. قال ﷺ: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه الروضات في قصيدته جنة الأتقياء في مدح سيد الأنبياء ﷺ :

منك أسنى الخلال نالت تباع — وسَنِيّ العلوم والأعمال(١)
سلكوا مهيع الرسالة حينا — فاستطالوا على قلال الجبال(٢)
واستجابت إلى المعالي رجال — ورجال إلى حديد العوالي(٣)
بسطو العدل والمكارم في الأرض فنالوا بها عزيز المنال
لم يكن فتحهم لدنيا ولكن — كان للدين شاءه المتعالى
لم يكن في الحقوق فيهم كبير — وصغير وسادة وموالي
إن قضى الحق لا ترى غير راض — ما قضاه منفذًا في الحال
صاغهم ربهم تقاة هداة — ودعاة إلى فريد المعالي
ثم آضوا لربهم فجزاهم — ما استحقوا من الجنان العوالي
ما جرى ذكرهم على الدهر إلاّ — شم من ذكرهم عبير الغوالي(٤)
فسلام عليهمو في حياة — وسلام عليهمو في انتقال
وسلام عليهمو يوم بعث — وسلام إذا لقوا ذا الجلال

(١) أسنى الخلال: أشرف الصفات . تباع: أتباع. والسَّنيُّ : المرتفع .

(٢) المهيع: الطريق . قلال الجبال: أعاليها .

(٣) المعالي : جمع معلاة وهي : الرفعة والشرف حديد العوالي : أطراف الرماح الحادة.

(٤) العبير: أخلاط الطيب . والغوالي : جمع غالية : أخلاط الطيب .

١١- كم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

عن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ، قالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب- رَضِي اللَّه عَنْه- إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ(١) فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ(٢) لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا(٣)، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ(٤)، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ(٥)، وَزَيْدِ الْخَيْلِ(٦)، وَالرَّابِعُ إِمَّا

---

(١) ذهيبة: تصغير ذهبه وكأنه أنثها على معنى الطائفة أو الجملة، وقال الخطابي أنثها على معنى القطعة، وفيه نظر. لأنها كانت تبرا. قال العيني: وقد يؤنث الذهب في بعض اللغات، وعند مسلم بذهبة.

(٢) القَرَظُ: شجر يُدبغ بورقه، ولونه إلى الصفرة أقرب، والأدم : الجلد، ومعنى مقروظ أي مدبوغ بالقرظ.

(٣) لم تُحصَّل: بصيغة المجهول أي لم تُخَلَّص من ترابها. واختُلف في هذه الذهيبة؛ فقيل كانت خمس الخمس، وقيل من الخمس، وكان من خصائصه ﷺ أن يضعه في صنف من الأصناف للمصلحة وقيل من أصل الغنيمة.

(٤) هو عُيينة بن حصن بن حُذيفة بن بدر الفزاري نُسب إلى جده الأعلى، ويكنى أبا مالك، أسلم بعد الفتح، وقيل قبله وشهد الفتح مسلماً، وهو من المؤلَّفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف، وكان اسم عيينة: حذيفة فأصابته لقوة فجحظت عيناه فسمي عيينة. وفي التوضيح: وكان عيينة من المنافقين، ارتد بعد رسول الله ﷺ وبعثه خالد إلى أبي بكر ﷺ في وثاق فأسلم وعفا عنه.

(٥) أقرع: اسمه فِراس – وكان في رأسه قرع فلقب بذلك – ابن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي أحد المؤلفة قلوبهم.

(٦) هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيئ سنة تسع فأسلم وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وكان يقال له زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت عنده، ومات في حياة رسول الله ﷺ وكان شاعراً محسناً خطيباً لسناً شجاعاً كريماً.

عَلْقَمَةُ[١] وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ[٢]، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِه[٣]: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاءِ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً"؟. قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ[٤] غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ[٥]، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ[٦]، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ[٧]، كَثُّ اللِّحْيَةِ[٨]، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ[٩]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ. قَالَ: "وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ"؟. قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ[١٠]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: "لا، لَعَلَّهُ يَكُونُ يُصَلِّي[١١]".

---

(١) شك من الراوي، وجزم في رواية سعيد بن مسروق أنه علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، الكلابي العامري من المؤلفة قلوهم، وكان سيداً في قومه حليماً، استعمله عمر بن الخطاب ﷺ على حَوْران فمات في خلافته.

(٢) أما عامر بن الطفيل مصغر الطفل القيسي قدم على النبي ﷺ ولم يسلم وعاد من عنده، فخرج به خُرَّاج في أصل أذنه فمات منه. ولذلك قيل: وذكر عامر بن الطفيل غلط من عبد الواحد، فإنه مات قبل ذلك، وقال الدمياطي: مات كافراً.

(٣) وفي رواية سعيد بن مسروق: فغضبت قريش والأنصار وقالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدَعُنا، فقال: إنما أتألفهم، والصناديد جمع صِنديد وهو: الرئيس.

(٤) قيل هو ذو الخويصرة التميمي اسمه نافع، وقيل اسمه حرقوص بن زهير السعدي.

(٥) غائر من الغَوْر، والمراد أن عينيه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحدقة.

(٦) مشرف الوجنتين: بارزهما من الإشراف، والوجنتان: العظمان المشرفان على الخدين.

(٧) ناشز: أصله من النشز، وهو ما ارتفع عن الأرض، والمعنى أنه مرتفع الجبهة.

(٨) كثير شعرها.

(٩) تشمير الإزار: رفعه عن الكعب.

(١٠) وفي رواية أبي سلمة عن أبي سعيد: فقال عمرﷺ . ولا منافاة بينهما؛ لاحتمال أن يكون كل منهما قال ذلك.

(١١) استعمل فيه لعل استعمال عسى، قال الكرماني وفيه دلالة من طريق المفهوم على أن تارك الصلاة مقتول، قال العتبي: هذا المفهوم ليس بحجة وفيه خلاف مشهور.

فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ[١] قُلُوبَ النَّاسِ، وَلا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ" قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ[٢] فَقَالَ: "إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[٣] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا[٤]، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"[٥]. وَأَظُنُّهُ قَالَ[٦]: "لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ. رواه البخاري[٧] .

---

(١) أنقب: أي أفتش وأكشف، والمراد أنه أُمر بالأخذ بظواهر الأمور، والبواطن لا يعلمها إلا الله.

(٢) قوله وهو مُقَفٍّ: جملة حالية من قفّي بالتشديد يقفي والفاعل منه مُقف بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء، أي مُوَلٍّ ويروى مقفِي بالياء من أقفي، وأصله مُقفى بضم الياء فحذفت الضمة للاستثقال، وسكنت الياء لأجل كسر الفاء، يقال قفي الرجل القوم إذا ولاهم قفاه.

(٣) الضئضي: الأصل يريد ﷺ أنه يخرج من نسله وعقبه.

(٤) معناه المواظبة على التلاوة أو تحسين الصوت بها والحذاقة والتجويد فيها فيجري لسانه بها ويمر عليها لا يتغير ولا ينكسر، وقيل معنى رطباً: سهلاً، وقال الخطابي: أي يواظب عليها فلا يزال لسانه رطبا بها.

(٥) أي يجوزونه، ويخرقونه، ويتعدونه كما يخرق السهم الشيء المرمى به، ويخرج منه، والرَّمِيَّة الصيد الذي ترميه فتقصده وينقذف فيه سهمك.

(٦) قوله : وأظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود، أي: وأظن النبي ﷺ قاله، واعترض على هذا بأنه إذا كان قتلهم جائزاً، فلم منع النبي ﷺ خالدًا من قتله، وأجيب عن هذا الاعتراض، بأنه لا يلزم من قتلهم جواز قتله. قال الخطابي: فإن قيل: لما كان قتلهم واجبا فكيف منعه منه؟ قلنا: لعلمه بأن الله تعالى يجري قضاءه فيه حتى يخرج من نسله من يستحق القتل بسوء أفعالهم ليكون قتلهم عقوبة لهم فيكون أبلغ في المصلحة.

(٧) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب بعث علي وخالد إلى اليمن حديث رقم٤٣٥١.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه الرباعيات :

يامـــدعين حبـــه وتـــاركين لَحْبَـــهُ[١]
مـــا كـــان مـــن أحبـــه لشـــرعه هـــدام

* * * * *

مـــن جـــد في هـــواه يطـــرح مـــا يهـــواه
لكـــل مـــا يرضـــاه ولـــو بـــه الغـــرام[٢]

* * * * *

مـــا كـــان رب الحُـــبِّ للحـــبِّ[٣] لا يلـــبي[٤]
وحكـــم كـــل لـــب[٥] خلاف من تهـوى حـرام[٨]

* * * * *

والله مـــا دعانـــا إلا لمـــا أحيانـــا[٦]
فمـــا لنـــا أحيانـــا[٧] نســـعى إلى الحِمـــام

(١) لحبه : طريقه الواضح . (٢) الغرام : الهلاك .
(٣) الحِب بكسر الحاء : الحبيب . (٤) لا يلبي: لا يجيب .
(٥) لب : عقل . (٦) أحيانا : فيه حياتنا .
(٧) أحيانا : أوقاتًا . (٨) الحِمام : الموت والهلاك .

١٢- وفد بني حنيفة(١) وحديث ثمامة بن أثال(٢)

عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ(٣)، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ(٤) يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ(٥)، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ(٦)، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ(٧) حَتَّى كَانَ بَعْدَ

(١) حنيفة: قبيلة كبيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن تُنسب إلى حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) هو ثمامة بن أُثال بضم الهمزة، بن النعمان بن مَسلمة الحنفي من فضلاء الصحابة.

(٣) أي بعث فرسان خيل إلى جهة نجد وهذا من ألطف المجازات وأحسنها.

(٤) قوله (ما عندك) معناه أي شيء عندك.

(٥) قوله (عندي خير يا محمد) يعني لست أنت ممن تظلم، بل أنت تعفو وتحسن.

(٦) ذا دم: وللكشميهني (ذم) قال النووي: معنى رواية الأكثرين إن تقتل ذا دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتفى قاتله بقتله، ويدرك ثأره لرئاسته وعظمته، ويحتمل أن يكون المعنى أن عليه دم وهو مطلوب به فلا لوم عليه في قتله. ومعنى الرواية الثانية: ذا ذمة، وضعفها القاضي عياض بأنه يقلب المعنى، لأنه إذا كان ذا ذمة يمتنع قتله. فوجهه النووي: بأن المراد بالذمة الحرمة في قومه.

(٧) قوله (عندي ما قلته لك إن تنعم تنعم على شاكر) اقتصر في اليوم الثاني على أحد الشقين، وحذف الأمرين في اليوم الثالث، وذلك أنه قدم أول يوم أشق الأمرين عليه، وأشفى الأمرين لصدر خصومه، وهو القتل، فلما لم يقع اقتصر على ذكر الاستعطاف وطلب الإنعام في اليوم الثاني، فكأنه في اليوم الأول رأي أمارات الغضب، فقدم ذكر القتل، فلما لم يقتله طمع في العفو، فاقتصر عليه، فلما لم يُعمل شيء مما قال اقتصر في اليوم الثالث على الإجمال تفويضاً إلى جميل خلقه ﷺ وقد وافق ثمامة في هذه المخاطبة قول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾١١٨/المائدة.

الْغَد، فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: "أَطْلَقُوا ثُمَامَةَ"(١)، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ(٢) قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِد فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّه مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوه إِلَيَّ، وَاللَّه مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّين إِلَيَّ، وَاللَّه مَا كَانَ مِنْ بَلَد أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاد إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ(٣) رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمرَ، فَلَمَّا قَدمَ مَكَّةَ(٤) قَالَ لَهُ قَائلٌ: صَبَوْتَ(٥)؟ قَالَ لا والله، وَلَكنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّد رَسُول اللَّه(٦) ﷺ، وَلا وَاللَّه لا يَأْتيكُمْ منَ الْيَمَامَة حَبَّةُ حنْطَة حَتَّى يَأْذَنَ فيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ(٧). رواه

---

(١) وفي رواية: قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك.

(٢) إلى نجل بالجيم: والنجل هو الماء، وفي رواية بالخاء وهو النخل .

(٣) أي بشره رسول الله ﷺ بخيري الدنيا والأخرة، أو بشره بالجنة، أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة.

(٤) قال ابن هشام بلغني: أنه خرج معتمراً حتى إذا كان ببطن مكة لبى، فكان أول من دخل مكة يلبي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اجترأت علينا، وأرادوا قتله فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامة فتركوه.

(٥) صبوت: أي ملت من دينك إلى دين غيره ، يقال صبأ فلان إذا خرج من دينه إلى دين غيره، وصبأت النجوم: إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام، ويسمون من يدخل في الإسلام مَصْبُوّاً، ويسمون المسلمين الصُّبَاة.

(٦) أي وافقته ﷺ على الدين الحق فسرنا متصاحبين في الإسلام، وفي رواية: (ولكن تبعت خير الدين دين محمد ﷺ).

(٧) أي إلى أن يأذن النبي ﷺ بذلك، قال ابن هشام: ثم خرج على اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى النبي ﷺ إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة: أن يخلى بينهم وبين الحمل إليهم.

البخاري[1].

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وثمامة بن أثال حديث رقم٤٣٧٢.

ويؤخذ من القصة:

- جواز ربط الكافر في المسجد
- المن على الأسير الكافر.
- تعظيم أمر العفو عند المقدرة، فهو أقرب طريق إلى قلوب الرجال، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل.
- ذكاء ثمامة ورجاحة عقله وفصاحته وبلاغته التي تجلت في جوابه الحاضر وسرعة بديهته.
- الاغتسال عند الإسلام. ٦- أن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب.
- أن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شُرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير.
- الملاطفة لمن يُرجَى إسلامه من الأساري إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه الرباعيات:

قدرت على العداة وقد عفوتا ... وخير العفو عفوك إذ قدرتا
ومن يعلو علاك وقد صفحتا ... عن الجاني ولم يُلم الملوم.

١٣ – مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى[١]

عَن ابْنِ عَبَّاس– رَضي اللَّه عَنهمَا– قَالَ: قدم[٢] مُسَيْلَمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: إنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ منْ بَعْده تَبعْتُهُ. وَقَدمَهَا فِي بَشَر كَثير منْ قَوْمه[٣]، فَأَقْبَلَ إِلَيْه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَلَّمَ[٤] وَمَعَهُ ثَابتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَلَّمَ قطْعَةُ جَريد حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلَمَةَ فِي أَصْحَابه[٥]، فَقَالَ[٦]: "لَوْ سَـأَلْتَني هَذه الْقطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّه فيكَ[٧]، وَلَئنْ أَدْبَـرْتَ لَيَعْقرَنَّـكَ[٨] اللَّهُ، وَإِنِّي لأَرَاكَ الَّذي أُريتُ فيه مَا رَأَيْتُ[٩]، وَهَذَا ثَابتٌ يُجيبُكَ عَنِّي"[١٠]. ثُـمَّ

(١) هو مسيلمة الكذاب بن ثُمامة بن بكير بن حبيب بن الحارث من بني حنيفة، ادّعى النبوة سنة عشر، وقدم مع قومه على عهد رسول الله ﷺ وأمر مسيلمة عند قومه معلوم، فقد كان يقال له رحمن اليمامة لعظيم قدره فيهم.

(٢) أي المدينة.

(٣) قال الواقدي: كان معه من قومه سبعة عشر نفسا.

(٤) أي ليتألفه وقومه رجاء إسلامهم وليبلغهم ما أُنزل إليه.

(٥) فكلمه ﷺ في الإسلام، فطلب مسيلمة أن يكون له شيء من أمر النبوة.

(٦) أي عليه الصلاة والسلام له.

(٧) أي لن تجاوز حكمه، قال العيني: المراد بأمر الله حكمه بأنه كذاب مقتول جهنمي.

(٨) أي ليهلكنك الله.

(٩) أريت على صيغة المجهول من رؤيا منامية.

(١٠) لأنه كان خطيب الأنصار فاكتفى عليه الصلاة والسلام بما قاله له، وإن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم بذلك، قال ابن حجر: كان النبي ﷺ قد أعطي جوامع الكلم فاكتفى بما قاله لمسيلمة، وأعلمه بأنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك.

انْصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكَ أَرَى الَّذي أُرِيتُ فِيهِ مَارَأَيْتُ". فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ[١] مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا[٢] فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ[٣]، وَالآخَرُ

---

(١) السوار من الحلي معروف ويجمع على أسورة وأساور، وسوَّرته السوار، أي: ألبسته إياه.

(٢) فنفختهما فطارا: لحقارة أمرهما، ففيه إشارة إلى اضمحلال أمرهما.

(٣) العنسي: بفتح العين وسكون النون نسبة إلى عنس، وهو زيد بن مالك بن أدد. قال ابن دريد: العنس الناقة الصلبة، أراد بالعنسي الأسود، ولقبه: عبهلة. قال ابن إسحاق: خرج بصنعاء وعليها المهاجر بن أبي أمية، وكان أول ما ضل به لعنه الله: أنه مر به حمار فلما انتهى إليه عثر لوجهه، فقال لعنه الله: سجد لي، ولم يقم الحمار حتى قال له عدو الله: شأ فقام، وكلمة: شأ تستعمل عند دعاء الحمار، وعن فيروز: خرج الأسود بعد حجة الوداع وكان كاهنا مشعبذاً يريهم الأعاجيب، وكان يسبي قلوب من يسمع نطقه، معه شيطان وتابع له، وخرج على ملك اليمن فقتله، ونكح امرأته، ومَلَكَ بلاده، ولم يكاتب النبي ﷺ ولم يرسل إليه؛ لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه، وصفا له مُلك اليمن، وروى البيهقي في الدلائل : أن باذان كان عامل النبي ﷺ بصنعاء فمات فجاء شيطان الأسود فأخبره، فخرج في قومه حتى مَلَك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان فتواعدت مع داذويه وفيروز، وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلاً وقد سقته المرزبانة الخمر صرفاً حتى سكر، وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار، فقتله فيروز، واجتز رأسه، وأخرجوا المرأة، وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر إلى المدينة. وقال عروة: أصيب الأسود قبل وفاة سيدنا رسول الله ﷺ بيوم أو ليلة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أتاه الخبر من السماء في الليلة التي قتل فيها الأسود فبشرنا به، وقال قتله البارحة رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن هو؟ قال فيروز. وقال دخل عليه فيروز فقال له: ما تقول، فإن محمداً يزعم أنه ليس إلا إله واحد؟ قال الأسود: بل آلهة كثيرة، فقال: ابسط يدك أبايعك، فلما بسط يده مد فيروز يده وأخذ بعنقه فقتله، وقال عبيد بن صخر: كان أول أمره وآخره ثلاثة أشهر.

مُسَيْلِمَةُ. أخرجه البخاري(١).

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وثمامة بن أثال حديث رقم٤٣٧٣، ٤٣٧٤.

ويستفاد من القصة:

(١) استعانة الإمام بأهل البلاغة والفصاحة في جواب أهل العناد ونحو ذلك.

(٢) فيها منقبة عظيمة لأبي بكر ﷺ لأن رسول الله ﷺ تولى نفخ السوارين بنفسه حتى طارا، فأما الأسود فقتل في زمانه، وأما مسيلمة فكان القائم على قتله أبو بكر الصديق، فقام مقام النبي ﷺ في ذلك.

(٣) أن السوار وسائر آلات أنواع الحلي اللائقة بالنساء تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث عن أبي بكر الصديق:

نصر الحنيف وما ونى في نصره   وإليه ردَّ من ابتغى إشراكا
فله يد في جيد كل موحد   فجزاه خير جزائه مولاكا

١٤- قصة أهل نجران(١)

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ(٢) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ(٣)، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:

---

(١) نجران: بلد معروف كبير واسع. جاء في زيادات يوسف بن بكير: نجران بفتح النون وسكون الجيم بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع، وتقع الآن في جنوب المملكة العربية السعودية. سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي الآن مشهورة يتبعها عدد من المحافظات والمراكز أخذت بنصيبها من النمو العمراني والاجتماعي في هذا العصر، وقصة قدوم وفد نجران إلى النبي ﷺ بالمدينة في السنة التاسعة من الهجرة وذلك أن نصارى نجران لما كتب رسول الله ﷺ كتاباً يدعوهم إلى الإسلام قال فيه: "من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام". قال ابن إسحاق: كان النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم.

(٢) العاقب: اسمه عبد المسيح، والسيد اسمه الأيهم أو شرحبيل، وكان العاقب صاحب مشورتهم، والسيد صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك، وكان معهم أيضاً أبو الحارث بن علقمة، وكان أسقفهم، وحبرهم.

(٣) يريدان أن يلاعناه: أي يباهلاه وكان النبي ﷺ فيما ذكره ابن سعد دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم، "وذكر ابن إسحاق أن ثمانين آية من سورة آل عمران نزلت في ذلك، يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ٦١/آل عمران.

ومعنى المباهلة: أن يجتمع الطرفان رجالا ونساء وأطفالا ويبتهلا على الله بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى ﷺ، ولذلك عبر عنها في الحديث بالملاعنة.

لا تَفْعَلْ[١]، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَنَا، لا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا[٢]، قَالا[٣]: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا أَمِينًا، وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلا أَمِينًا. فَقَالَ: "لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ[٤]". فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥] فَقَالَ: "قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ". فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ". وفي رِواية عن أنس رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: "لكلِّ أمّةٍ أمين وأمينُ هذه الأمَّة أبو عُبَيْدة بن الجرَّاح" رواه البخاري[٦] ".

---

(١) قيل هو السيد للعاقب، وقيل الذي قال العاقب للسيد لا تفعل.

(٢) زاد في رواية ابن مسعود أبداً، وعند ابن شيبة أن النبي ﷺ قال: أتاني البشير بهلكة آل نجران لو تموا على الملاعنة، ولما غدا عليهم أخذ بيد حسن وحسين، وفاطمة تمشي خلفه للملاعنة.

(٣) أي بعد أن انصرفا و لم يسلما رجعا وقالا: إنا لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت ونصالحك، فصالحهم على ألف حُلَّة في رجب، وألف حلة في صفر، ومع كل حلة أوقية.

(٤) أي حقيقاً بالأمانة.

(٥) أي لقوله عليه الصلاة والسلام. لا رغبةً في الإمارة ولكن حرصاً على هذه الصفة الكريمة صفة الأمانة.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي قصة أهل نجران حديث رقم٤٣٨٠، ٤٣٨١، ٤٣٨٢.

وفي القصة من الفوائد:

- إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام.
- جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته.
- مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرَّ بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، قال ابن حجر: ومما عرف بالتجربة أن من باهل، وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، قال: ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعد غير شهرين.

- مصالحة أهل الكتاب على ما يراه الإمام من أصناف المال وغيرها.
- بعث الإمام العالم الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام.
- القصة فيها منقبة عظيمة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ حيث وصف بأنه أمين هذه الأمة وتلك صفة عظيمة اشرأبت لها أعناق الصحابة رضي الله عنهم.

وفي وحي الحديث يقول شيخنا الخطيب ﷺ:

وإذا ابتغوا سِلما فسالمهم ولـو ... مكروا وحسبُك قـادرٌ قواكـا
يُدْعون للدين الحنيف فإن أبَـوْا ... فلجِزية فـإذا أبَـوا فعِراكـا
وعليهمو ولهم إذا رَضَخوا لهـا ... ما للموحِّد والعقـابُ هُناكـا

١٥- كعب بن مالك والثلاثة الذين خُلِّفوا[(١)]

عن كَعْب بن مالك ﷺ قال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إلا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ[(٢)]، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ[(٣)] قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ[(٤)] حِينَ

---

(١) أي عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

(٢) تبوك: مدينة معروفة تقع في الشمال الغربي للمكلة العربية السعودية. قال عاتق بن غيث: تبوك مدينة حجازية تاريخية كانت فيها غزوة جيش العسرة في السنة التاسعة للهجرة بقيادة النبي ﷺ، تقع على طريق المدينة على الشام، مر بها القطار الحديدي في سنة١٣١٢هـ عندما وصلت المدينة المنورة بالسكة الحديد بدمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وتعتبر تبوك شبكة مواصلات، فمنها إلى الأردن طريق معبدة، وإلى المدينة نحو ذلك، وإلى حقل غارب طريق معبدة، وإلى الجوف طريق ترابي.

(٣) العير: الإبل بأحمالها. قال الفيومي: العير: الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة.

(٤) العقبة: بفتح العين والقاف والباء: مرمى الجمرة الكبرى بمنى. قال ياقوت: عقبة بالتحريك: الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلي صعود الجبل، والعقبة التي بويع فيها النبي ﷺ بمكة عقبة بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين، وعندها مسجد، ومنها ترمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ، وسوق الحجاز، ومجنّة ، ويتابع القبائل في رحالها يدعوهم إلي أن يمنعوه ليبلغ رسالات ربه فلا يجد أحداً ينصره، حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من البعثة النبوية لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم ﷺ وعرض عليهم أن يمنعوه فقالوا: هذا والله النبي الذي تَعِدُنا به اليهود، يجدونه مكتوباً في توراتهم فآمنوا به وصدقوه وانصرفوا إلى المدينة، ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة من النبوة وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً ، وكانت البيعة الأولى، فلما كانت

تَوَاثَقْنَا[١] عَلَى الإِسْلامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا[٢] مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ[٣] فِي النَّاسِ مِنْهَا. كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلا وَرَّى[٤] بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا[٥] وَعَدُوًّا كَثِيرًا[٦]، فَجَلَّى[٧] لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ[٨] غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ،

سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم سبعون رجلاً وامرأتان وكانت البيعة، فإذا رأيت من الأنصار من يقال له بدري فهو منسوب إلى أنه شهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر، وإذا قيل عَقَبي فهو منسوب إلى مبايعة النبي ﷺ في هذا المكان. أقول: وهذا الموضع مازال معروفاً بهذا الاسم عند جميع المسلمين وأنه من المشاعر المقدسة التي يرتادها المسلمون كل عام.

(١) تواثقنا : تعاهدنا وتعاقدنا، وقال ابن حجر: أي أخذ بعضنا على بعض الميثاق لما تبايعنا على الإسلام والجهاد.

(٢) أي بَدَلها.

(٣) أذكر: أي أعظم ذكراً. قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: أشهر عند الناس بالفضيلة.

(٤) وَرَّى: أي أوهم، والتورية أن يُذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد. وكان ﷺ يقول: "الحرب خُدعة".

(٥) المفاز: بفتح الميم والفاء أرض لا ماء فيها.

(٦) وذلك أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة، وهرقل رَزَقَ أصحابَهُ لِسَنَة، وأجلبت معه لخم وجُذام، وغسان وقدموا مقدماهم إلى البلقاء.

(٧) جلى: أي كشف.

(٨) الأهبة: تجهيز ما يحتاجون إليه في السفر والحرب.

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ(١). قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ. وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلالُ(٢)، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ(٣) أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ(٤)، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ(٥) الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ

(١) قوله "لا يجمعهم كتاب حافظ" أي: ديوان، وهو الكتاب الذي يُجمع فيه الحساب، وزاد في رواية معقل: يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمعهم ديوان حافظ. وللحاكم من حديث معاذ: أنهم كانوا زيادة على ثلاثين ألفا، وبهذا العدد جزم به ابن إسحاق، وأورده الواقدي بإسناد آخر وزاد فيه: أنه كانت معهم عشرة آلاف فرس، فتُحمل رواية معاذ على إرادة عدد الفرسان. وقيل كانوا أكثر من ذلك.

(٢) وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب. في قيظ شديد في ليالي الخريف والناس خارفون في نخيلهم.

(٣) طفقت: أي أخذت.

(٤) الجدُ: بكسر الجيم وهو الجهد في الشيء والمبالغة فيه. وفي رواية لأبي ذر عن الحموي حتى اشتد الناسُ الجدَّ برفع الناس على الفاعلية، ونصب الجد على نزع الخافض أي اشتد الناس الاشتداد الجد أي البليغ.

(٥) حتى أسرعوا: من الإسراع وفي رواية الكشميهني "حتى شرعوا من الشروع، لكن قال الحافظ ابن حجر: وهو تصحيف. ومعنى "تفارط الغزو" : أي فات وسبق، مأخوذ من الفرط، وهو: السبق.

فَأُدْرِكَهُمْ، -وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ[١]- فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إِلا رَجُلا مَغْمُوصًا[٢] عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تعالى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: "مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟". فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ[٣]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفَيهِ[٤]. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥]. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلا[٦] حَضَرَنِي

---

(١) فيه تمني ما فات فعله. قال القسطلاني: فيه أن المراد إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوِّف بها لئلا يُحرمَها.

(٢) مغموصا عليه النفاق: أي مطعونًا في دينه متهمًا بالنفاق، وقيل معناه مستحقراً، تقول غمصت فلاناً إذا استحقرتَه.

(٣) هو عبد الله بن أنيس السلمي.

(٤) قوله "حبسه برداه ونظره في عطفيه": أي جانبيه كناية عن كونه معجباً بنفسه ذا زهو وتكبر، أو لباسه؛ أو كني به عن حسنه وبهجته، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن، وتسميه عطفا لوقوعه على عطفي الرجل، وهما ناحيتا عنقه.

(٥) قال القسطلاني: فبينما هو كذلك رأى رجلاً منتصباً يزول به السراب، فقال ﷺ: كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة سعد بن أبي خيثمة الأنصاري.
وعند الطبراني: أنه قال تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطا، فرأيت عريشاً قد رش بالماء ورأيت زوجتي، فقلت ما هذا بإنصاف، رسول الله في السَّموم والحر وأنا في الظل والنعيم، فقمت على ناضح لي، وتمرات، وخرجت، فلما طلعت على العسكر، فرآني الناس، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فجئت، فدعا لي.

(٦) أي فلما بلغني أنه ﷺ توجه راجعاً من سفره إلى المدينة.

هَمِّي، فطَفقتُ(١) أَتذكَّرُ الْكَذبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطه غَدًا؟ وَاستَعَنْتُ عَلَى ذَلكَ بكُلِّ ذي رَأْيٍ منْ أَهْلي، فَلَمَّا قيلَ إنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قادمًا(٢) زَاحَ(٣) عَنِّي الْبَاطلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ منْهُ أَبَدًا بشَيْءٍ فيه كَذبٌ، فَأَجْمَعْتُ صدْقَهُ(٤). وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَادمًا، وَكَانَ إذَا قَدمَ منْ سَفَرٍ بَدَأَ بالْمَسْجد فَيَرْكَعُ فيه رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ للنَّاس، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ(٥)، فَطَفقُوا يَعْتَذرُونَ إلَيْه، وَيَحْلفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بضْعَةً وَثَمَانينَ رَجُلا(٦)، فَقَبلَ منْهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلانيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائرَهُمْ إلَى اللَّه تعالى، فَجئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَب(٧)، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَ"، فَجئْتُ أَمْشي حَتَّى

---

(١) فطفقت: أخذت.

(٢) أظل قادما: دنا قدومه من المدينة.

(٣) زاح: زال.

(٤) الإجماع في اللغة يطلق على معنيين، هما: الاتفاق، والعزم، قال ابن الأثير: الإجماع إحكام النية والعزيمة، أجمعت الرأي واعتزمته وعزمت عليه، ومنه حديث أسعد بن مالك فأجمعت صدقة. قال القسطلاني: أي جزمت به وعقدت عليه قصدي، وعند ابن أبي شيبة وعزمت أنه لا ينجيني منه إلا الصدق.

(٥) أي الذين تخلفوا عن الذهاب مع رسول الله ﷺ عن غزوة تبوك.

(٦) البضع في العدد بالكسر، وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع على المشهور، وقيل ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل إلى الخمس، وقيل ما بين الواحد إلى أربعة، أو من أربعة إلى تسع أو سبع. جاء في القاموس: وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع لا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك، وهو مع المذكر بهاء ومع المؤنث بغير هاء، تقول بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة. وذكر الواقدي أن هذا العدد كان من منافقي الأنصار، وأن المعذّرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم وأن عبد الله بن أبي ومن أطاعه من قومه كانوا غير هؤلاء، وكانوا كثيراً.

(٧) أي كتبسُّم المغضب. وفي مغازي ابن عائذ فأعرض عنه، فقال يا نبي الله لم تعرض عني؟ فوالله ما نافقت، ولا ارتبت، ولا بدلت.

جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْه، فَقَالَ لِي: " مَا خَلَّفَكَ[(١)]؟ أَلَمْ تَكُنْ قَد ابْتَعْتَ ظَهْـرَكَ[(٢)]؟". فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي وَاللَّه لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطه بِعُذْر، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلا[(٣)]، وَلَكِنِّي وَاللَّه لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِب تَرْضَى بِه عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَـيَّ، وَلَـئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْق تَجِدُ[(٤)] عَلَيَّ فيه، إِنِّي لأَرْجُو فيه عَفْوَ اللَّه، لا وَاللَّه مَـا كَانَ لِي مِنْ عُذْر، وَاللَّه مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ". فَقُمْتُ وَثَارَ[(٥)] رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّه مَـا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَـى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ بِه الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَـكَ ذَنْبَكَ[(٦)] اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّه ﷺ لَكَ، فَوَاللَّه مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي[(٧)] حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي من أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَـمْ،

---

(١) قال: ما خلفك؟ أي عن الغزو.

(٢) ابتعتَ ظهرك: اشتريت راحلتك، فالبيع هنا بمعنى الشراء، تقول ابتعت الشيء بمعـنى اشتريته، ومنه قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: "لا يبتع المرء على بيع أخيـه" أي لا يشتري، إذ النهي في الحديث إنما هو وارد على الشراء.

(٣) أعطيت جدلاً: أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إليّ بما يقبل ولا يُرد.

(٤) تجد عليّ: أي تغضب، يقال وَجَدَ عليه غضب، ووَجَدْتُ عليه مَوْجدة: غضبت.

(٥) أي : وثبوا.

(٦) وعند ابن عائذ: فقال كعب ما كنت لأجمع أمرين: أتخلف عن رسول الله ﷺ وأكذبه، فقالوا إنك شاعر جريء فقال أما على الكذب فلا.

(٧) يؤنبونني من التأنيب وهو: اللوم العنيف، قال ابن الأثير: التأنيب المبالغة في التوبيخ والتعنيف.

رَجُلانِ قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ(١) وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ(٢). فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ(٣)، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ(٤) فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي

---

(١) نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

(٢) نسبة إلى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس. وعند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن: أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها فقال في نفسه قد غزوت قبلها فلو أقمت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك، وأن الثاني كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أقمت هذا العام عندهم، فلما تذكر ذنبه قال: اللهم لك عليّ ألا أرجع إلى أهلي ولا مالي.

(٣) ذكر الزبيدي والقنوجي أنه قد استشكل بأن أهل السِّيَر لم يذكروا واحداً منهما فيمن شهد بدراً ولا يعرف ذلك غير هذا الحديث. وممن جزم بأنهما شهدا بدراً الأثرم، وتعقب الأثرم ابن الجوزي ونسبه إلى الغلط، لكن قال الحافظ ابن حجر: إنه لم يصب. قال: واستدل بعض المتأخرين لكونهما لم يشهدا بدراً بما وقع في قصة حاطب، وأن النبي ﷺ لم يهجره، ولا عاقبه مع كونه جَسّ عليه، بل قال لعمر لما هم بقتله: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، قال وأين ذنب التخلف من ذنب الجس، وليس ما استدل به بواضح؛ لأنه يقتضي أن البدري عنده إذا جنى جناية لا يعاقب عليها، وليس كذلك، فهذا عمر مع كونه المخاطب بقصة حاطب قد جلد قدامة بن مظعون الحد لما شرب الخمر وهو بدري، وإنما لم يعاقب النبي ﷺ حاطباً ولا هجره؛ لأنه قبل عذره في أنه كاتب قريشاً خشية على أهله وولده، بخلاف تخلف كعب، وأصحابه، فإنهم لم يكن لهم عذرٌ أصلاً.

(٤) أي تغيرت في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف لتوحشها عليّ وهذا يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتى يجده في نفسه، قال السهيلي: وإنما اشتد الغضب=

أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً[١]، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ أَمْ لا[٢] ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ[٣]، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ[٤] جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ[٥] – وَهُوَ ابْنُ عَمِّي[٦] وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ– فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُ

=على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار فرض عين؛ لأنهم كانوا بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة؛ لأنه كالنكث لبيعتهم.أ.هـ. وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمانه ﷺ.

(١) قال القسطلاني: يؤخذ من هذا جواز الهجران فوق ثلاث، أما النهي عن الهجر فوق ثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيا.

(٢) إنما لم يجزم بتحريك شفتيه ﷺ بالسلام لأنه لم يكن يديم النظر إليه من الخجل.

(٣) أي أنظر إليه خفية.

(٤) تسورت، أي: صعدت جدار الحائط.

(٥) أبو قتادة: هو الحارث بن ربعي بن بلذمة الأنصاري السلمي الخزرجي من بني تميم بن كعب بن سلمة بن جشعم بن الخزرج توفي بالكوفة في خلافة عليٍّ ﵁ وصلى عليٌّ عليه.

(٦) إنما قال ابن عمي؛ لكونهما معا من بني سلمة، وليس هو ابن عمه أخي أبيه، قال الكرماني: ليس هو ابن عمه بل ابن عم جد جده.

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[١]. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ[٢]، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ[٣] مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ[٤]، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ[٥] وَلا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ[٦] فَسَجَرْتُهُ بِهَا[٧]، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ[٨] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

---

(١) قوله: "الله ورسوله أعلم" ليس هذا تكليما لكعب؛ لأنه لم ينو به ذلك، لأنه منهي عنه بل أظهر اعتقاده، قال القنوجي: فلو حلف لا يكلم زيداً، فسأله عن شيء، فقال: الله أعلم، ولم يرد جوابه ولا إسماعه لم يحنث.

(٢) وفي رواية معمر: فلم أملك نفسي أن بكيت، ثم اقتحمت الحائط خارجا.

(٣) النبطي: الفلاح سمي بالنبطي لاشتقاقه من استنباط الماء واستخراجه، والأنباط كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة، وهذا النبطي كان نصرانياً شاميا، وقيل النبطي منسوب إلى نبيط بن هانب بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.

(٤) قيل هو جبلة بن الأيهم نص عليه ابن عائذ، وعن الواقدي: الحارث بن أبي شمر وقيل: جندب بن الأيهم، وعند ابن مرداويه : فكتب إلى كتابا في سرقة من حرير.

(٥) هوان: ذل وصغار.

(٦) فتيممت بها: قصدت بها:، أي بالكتاب الذي أرسله ملك غسان، وإنما أنث الضمير باعتبار الصحيفة، والتنور معروف وهو: ما يخبز فيه.

(٧) فسجرت بها التنور، أي: أوقدته بها، أي بالكتاب الذي هو الصحيفة، وهذا الصنيع من كعب يدل على قوة إيمانه ومحبته لله ورسوله ﷺ.

(٨) قال الواقدي: رسول رسول الله: هو خُزَيمة بن ثابت، قال: وهو رسول الرسول ﷺ إلى مُرارة وهلال بذلك.

اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ[1] فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لا بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِك فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ[2] رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: "لا وَلَكِنْ لا يَقْرَبْك". قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّه مَا بِه حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّه مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِه مَا كَانَ إِلَى يَوْمِه هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي:[3] لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّه لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ كَلامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاةَ

---

(١) هي عُميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية أم أولاده الثلاثة، أو هي زوجته الأخرى، خيرة.

(٢) خولة بنت عاصم.

(٣) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في منحة الباري: استشكل هذا بنهيه ﷺ الناس عن كلام الثلاثة، وأجيب بأنه يحتمل أن يكون عبر عن الإشارة بالقول، وأن النهي كان خاصاً بالرجال، أو كان ممن يخدم المنهي عنه فلم يدخل في النهي.
جاء في فتح المبدي: وأجيب بأن النهي ليس شاملاً للكل بل مخصوص بمن عدا من تدعو حاجة هؤلاء إلى مخالطته وكلامه من زوجة وخادم ونحو ذلك، ألا ترى أنه ﷺ أذن لزوجة هلال في خدمته، ومعلوم أنه لابد في ذلك من مخالطة وكلام فلم يكن النهي شاملاً لكل أحد.
وأجيب بأنه عبر بالقول عن الإشارة، أي فأشار إليّ بعض أهلي، ففيه نظر ؛ لأنه ليس المقصود بعدم المكالمة عدم النطق باللسان فقط، بل المراد ما يعم الإشارة المفهمة، لأنها بمترلته.

الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ- عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ- قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي(١)، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ(٢)، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ(٣) بِأَعْلَى صَوْتِه: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِك، أَبْشِرْ. قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ(٤) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِتَوْبَة اللَّه عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ(٥) صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا(٦)، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ(٧) فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ(٨) وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ- وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ(٩)- وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ(١٠)

---

(١) أي قلبي لا يسعه أنس ولا سرور من فرط الوحشة والغم.

(٢) بما رحبت: أي مع سعتها، وهو مثل للحيرة في أمره، كأنه لا يجد فيها مكاناً يَقَرُّ فيه؛ قلقاً وجزعاً. وإذا كان هؤلاء لم يأكلوا مالاً حراما ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، وأصابهم، فكيف بمن واقع الفواحش والكبائر!.

(٣) جبل سَلْع: جبل عظيم شامخ مرتفع في شمال المدينة، وحجارة هذا الجبل سود بوجه الإجمال تتفتت من ضغطها باليد. وعند الواقدي: كان الذي أوفى على سلع أبا بكر الصديق، فصاح قد تاب الله على كعب.

(٤) أي أعلم ﷺ الناس.

(٥) فذهب قبل صاحبيَّ: أي جهة صاحبي وهما: هلال ومرارة مبشرون يبشرونهما.

(٦) هو الزبير بن العوام، وقيل حمزة بن عمرو.

(٧) هو حمزة بن عمرو الأسلمي من ولد أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر يكنى أبا حاتم مات سنة إحدى وستين وهو ابن ثمانين سنة.

(٨) فأوفى على الجبل أي: ارتفع وأشرف.

(٩) يريد من جنس الثياب، وإلا فقد تقدم أنه كان عنده راحلتان.

(١٠) أي من أبي قتادة.

فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا(١) يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ(٢) يُهَرْوِلُ(٣) حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ(٤)". قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عز وجل"(٥). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ(٦)، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ(٧)، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ

---

(١) فوجا فوجا: أي جماعة جماعة.

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٣) الهرولة: بين المشي والعدو وهو كناية عن السرعة.

(٤) أي سوى يوم إسلامه، وهو مستثنى تقديرا وإن لم ينطق به، أو أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها، فهو خير مع جميع أيامه وإن كان يوم إسلامه خيرها، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها. وعند ابن مردويه من وجه آخر عن كعب بن مالك : لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده وركبته.

(٥) زاد ابن أبي شيبة: أنتم صدقتم الله فصدقكم.

(٦) كأن وجهه قطعة قمر: قاله إشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين الذي يظهر فيه السرور، قالت عائشة رضي الله عنها: "مسروراً تبرق أسارير وجهه" فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه، فناسب أن يشبه ببعض القمر.

(٧) أي الذي يحصل من استنارة وجهه ﷺ عند السرور وهو من كمال الشفقة على أمته والرأفة بهم، والفرح بما يسرهم.

تَوْبَتِي أَنْ أَنْخلعَ[١] مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُوله ﷺ[٢]. فقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "أَمْسكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ[٣]". قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسكُ سَهْمِي الَّذِي بخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بالصِّدْق، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّه مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلمِينَ أَبْلاهُ اللَّهُ في صِدْق الْحَدِيث مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلكَ لرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ممَّا أَبْلانِي[٤]، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلكَ لرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى عَلَى رَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ[٥] وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ[٦]) إِلَى قَوْله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ) فَوَاللَّه مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ منْ نعْمَة قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي للإِسْلام أَعْظَمَ في نَفْسِي منْ صدْقي لرَسُول اللَه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ

---

(١) قوله: "أن انخلع من مالي صدقة" قال الأنصاري: بنصب صدقة على الحال من مالي أو على المفعولية بتضمين، انخلع: أخرج لا على المصدرية بجعل الخلع بمعنى أتصدق كما قيل؛ لأنه ليس بمصدر بل هو اسم لما يتصدق به.

(٢) أي صدقة خالصة لهما.

(٣) قال له رسول الله ﷺ ذلك خوفا عليه من تضرره بالفقر وعدم صبره على الفاقة. وفي رواية أبي داود عن كعب أنه قال: إن من توبتي أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة، قال: " لا "، قلت: فنصفه، قال: " لا "، قلت : فثلثه، قال "نعم".

(٤) أي مما أنعم عليّ به، قال ابن حجر في قوله "أحسن" شاهد على أن هذا السياق يورَد ويراد به نفي الأفضلية لا المساواة، لأن كعباً شاركه في ذلك رفيقان، وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له هو كذلك، لكنه لم ينف المساواة.

(٥) أي تجاوز عنه إذنه للمنافقين في التخلف كقوله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾.

(٦) فيه حث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا هو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ ، والمهاجرين ، والأنصار.

كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ(١)، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ(٢)) إِلَى قَوْلِهِ (فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٣)) قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ(٤)، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ(٥) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا(٦)). وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ

---

(١) أي قال قولاً شر ما قال لأحد، بالإضافة، أي شر القول الكائن لأحد من الناس.

(٢) انقلبتم: رجعتم من الغزو.

(٣) أخبر الله تعالى عن المنافقين الذين تخلفوا بقوله: إنهم سيحلفون معتذرين؛ لتعرضوا عنهم ولا تؤنبوهم، فأعرضوا عنهم إنهم رجس، أي: خبثاء؛ نجس بواطنهم، واعتقادهم، ومأواهم جهنم جزاء أي لأجل الجزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا، ثم أخبر عنهم بأنهم يحلفون لكم، لترضوا عنهم، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والفسق هو: الخروج، ومنه سميت الفأرة فويسقة ؛ لخروجها من جحرها، ويقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، جاء في فتح المبدى: أن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله عز وجل ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها.

(٤) حين حلفوا له: أي وقت أن حلفوا له أن تخلفهم كان لعذر.

(٥) أرجأ: أي أخَّر من الإرجاء، قال العيني: وحاصل معنى قول كعب أنه فسر قوله تعالى:﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ أي أخروا حتى تاب الله عليهم، وليس المراد أنهم خلفوا عن الغزو، وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عمن سمع عكرمة في قوله "وعلى الذين خلفوا" قال خلفوا عن التوبة.

(٦) من الآية رقم١١٨ من سورة التوبة.

لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ[١]. متفق عليه[٢].

---

(١) قال الزبيدي: هو مأخوذ من التخلف أي التأخير، فالمراد أنهم خلفوا عن التوبة لا عن الغزو، وهذا تفسير منه لمعنى الآية بحسب ما أدى إليه فهمه ﷺ، وإن كان الثاني محتملاً بل هو المتبادَرُ والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي (حديث كعب بن مالك ﷺ) وقول الله:" وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا" حديث رقم ٤٤١٨ صحيح مسلم كتاب التوبة

وفي القصة فوائد جمة منها:

- جواز التصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره
- أن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير.
- أن العاجز عن الخروج بنفسه أو ماله لا لوم عليه.
- فضيلة أهل بدر ، والعقبة ، والمتابعة مع الإمام، وجواز الحلف من غير استحلاف.
- إجراء الأحكام على الظاهر، ووكول السرائر إلى الله تعالى.
- أن للإمام أن يؤدب بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه.
- استحباب صلاة القادم ودخوله المسجد أولاً وتوجُّه الناس إليه عند قدومه.
- عظَم مقدار الصدق في القول والفعل وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به.
- إيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب.
- خدمة المرأة لزوجها.
- جواز إحراق ورق فيه ذكر الله إذا كان لمصلحة.
- استحباب التبشير عند تجديد النعمة، واندفاع الكربة، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة.
- التصدق بشيء عند ارتفاع الحزن.
- جواز العارية.
- جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه إذا علم رضاه.
- مصافحة القادم والقيام له والتزام مداومة الخير الذي ينتفع به.
- استحباب سجدة الشكر.
- جواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه.

- جواز مدح الرجل بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة.
- أن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه.

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوان الخطيب:

ولقد علمتَ بمـا جـرى لثلاثـة ... عن ركبِ أحمدَ في تبوكَ تخلّفـوا
ويكادُ عمـرُك ينقضـي متخلّفـاً ... والقلبُ مـا أقسـاه لا يتلـهَّفُ

ويقول في وحي الحديث:

يا ذا الذي تـرك الجهـادَ لمـؤلمٍ ... إن العـدوَّ أذاهُ مثـلُ أذاكـا
مَعَ أنـه لا يرتجـى مـا ترتجـي ... منـه تعـالى ههنـا وهناكـا
وإذا امتنعت لزوجة جَمُلَتْ فقـل ... أبهَا تبيـعُ الحـورَ مـا أغباكـا
وإذا أَبَيْتَ لمَـا ملَكـتَ فزائـلٌ ... أو أنت عنه فَحُـزْ بـه أخراكـا
وإذا خَشيتَ على بَنيـكَ إضـاعةً ... فـاللهُ أكـرمُ كافـلٍ أبناكـا
وإذا أبيتَ لمن هَوَيْتَ فهم عِـدىً ... إن لم يكن في الله كـان هواكـا
وإذا خَشيتَ بـه الحِمَـامَ فإنـه ... لابد منـه مـتى يحيـنُ مَـداكا
لم يُدْنه منـك الجهـادُ ومـا وَنى ... بالسلم عنك فأين منك نُهاكـا؟
وإذا رأيتَ ثوابَ من شهدوا الوغى ... مستشهدين لأجلِ مـن أنشـاكا
ورأيتَ فوزَهمـو تقـول تأسُّـفًا ... يا ليـتني في اللهِ كنـتُ كـذاكا

١٦- مرض النبي ﷺ الذي توفى فيه

عن عَبْد اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْد رَسُول اللَّه ﷺ في وَجَعه الَّذي تُوُفِّيَ فيه، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْد اللَّه بَارِئًا[١]، فَأَخَذَ بِيَده عَبَّاسُ بْنُ عَبْد الْمُطَّلب، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللَّه بَعْدَ ثَلاث عَبْدُ الْعَصَا[٢]، وَإِنِّي وَاللَّه لأرَى[٣] رَسُولَ اللَّه ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعه هَذَا، إِنِّي لاعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْد الْمُطَّلب عِنْدَ الْمَوْت[٤]، اذْهَبْ بنَا إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ[٥]؟ إِنْ كَانَ فِينَا عَلمْنَا ذَلكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلمْنَاهُ فَأَوْصَى بنَا[٦].فَقَالَ عَليٌّ: إِنَّا وَاللَّه لَئنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّه ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لا يُعْطينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ[٧]، وَإِنِّي وَاللَّه لا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّه ﷺ[٨]. رواه البخاري[٩].

---

(١) بارئاً: اسم فاعل من برأ بمعنى أفاق من المرض.

(٢) قوله: "بعد ثلاث عبد العصا: هو كناية عمن يصير تابعاً لغيره، والمعنى: أن النبي ﷺ يموت بعد ثلاثة أيام وتصير أنت مأموراً عليك تابعًا لغيرك، وهذا من قوة فراسة العباس ﷺ.

(٣) لأرى: بفتح الهمزة بمعنى أعتقد، وبضمها بمعنى أظن.

(٤) هذا قاله العباس مستنداً إلى التجربة، لأنه جرب ذلك في وجوه الذين ماتوا من بني عبد المطلب، وذكر ابن إسحاق عن الزهري أن هذا كان يوم قبض النبي ﷺ، ثم قال العباس لعليّ: اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ.

(٥) أي الخلافة، وعند ابن سعد فنسأله من يَستخلف؟ فإن استخلَف منّا فذاك.

(٦) أي الخليفة بعده، وفي مرسل الشعبي: وإلاّ وصّى بنا فحُفظْنا من بعده، وله من طريق أخرى: فقال عليّ: وهل يطمع في هذا الأمر غيرُنا؟ قال: أظن والله سيكون.

(٧) أي يحتجون عليهم بمنع رسول الله ﷺ إياهم، قال الزبيدي: أي وإن لم يمنعها بأن سكت فيحتمل أن تصل إلينا في الجملة.

(٨) لا أسالها رسول الله ﷺ: أي لا أطلبها منه، وفي مرسل الشعبي: فلما قبض النبي ﷺ قال العباس لعليّ: ابسط يدك أبايعك يبايعك الناس فلم يفعل، وفي فوائد أبي طاهر الذهلي بإسناد جيد قال عليّ: يا ليتني أطعت عباساً يا ليتني أطعت عباساً.

(٩) صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته حديث رقم ٤٤٤٧.

١٧- إن للموت سكرات[١]

عن عَائشَةَ رضي الله عنها أنها كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّه عَلَـيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي[٢]، وَبَيْنَ سَـحْرِي وَنَحْرِي[٣]، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِه عِنْدَ مَوْتِه- دَخَـلَ عَلَـيَّ عَبْـدُ الرَّحْمَنِ[٤] وَبِيَدِه السِّوَاكُ[٥] وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْـه وَسَـلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْه، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِـه أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ- فَاشْتَدَّ[٦] عَلَيْه. وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسه أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ. فَأَمَرَّهُ[٧] وَبَيْنَ يَدَيْه رَكْوَةٌ[٨] فيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْه فِي الْمَاء فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ " لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْت سَكَرَات ". ثُـمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: "اللهم فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى" حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ[٩]

---

(١) سكرات: جمع سكرة وهي الشدة.

(٢) أي يوم نوبتي بحسب الدور المعهود.

(٣) السَّحْر: الرئة، وقيل السَّحَر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن، وقيل كل ما تعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة، والنحر موضع القلادة من الصدر، والجمع نحور وتطلق النحور على الصدور والمراد أنه ﷺ مات ورأسه الشريفة بين أعلى صدرها وتحت ذقنها.

(٤) أي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٥) السواك والمسواك: ما تدلك به الأسنان من العيدان، يقال ساك فاه يسوكه إذا دَلَكَـهُ بالسواك.

(٦) أي الوجع.

(٧) فأمره: بفتح الميم وتشديد الراء أي على أسنانه فاستاك به.

(٨) الرَّكوة: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء والجمع رِكاء.

(٩) علامة على موته، وعند أحمد عن عائشة: أنها قالت لما خرجت نفسه ﷺ لم أجد ريحا قط أطيب منها.

صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه البخاري(١).

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته حديث رقم٤٤٤٩.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه روضات الخطيب :

والله ليس بمؤمن من لم يكن   يهواك فوق النفس والأولاد
ويكون ما يهواه تابعَ شِرْعة   لك سَنَّها الربُّ الكريم الهادي

....

والله لو أن الأنام تجمَّعت   من مبدأ الدنيا ليوم معاد
والجنَّ والأملاكَ بَعْدُ مُعِينَةٌ   يبغون مدحَ صنيعة الجَوَّاد
ونَظَمْن من زُهْر النجوم قصيدة   لم تُلْف إلاّ دونَ قدْرِ الهادِ

١٨- موافقات عمر رضي الله عنه

عَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه:وَافَقْتُ اللَّهَ عز وجل(١) فِي ثَــلاثٍ(٢)-أَوْ

---

(١) وافقت من الموافقة من باب المفاعلة التي تدل على مشاركة اثنين في فعل يُنسب إلى أحدهما متعلقاً بالآخر، والمعنى في الأصل: وافقني ربي فأنزل القرآن على وَفْق ما رأيت، لكنه راعى الأدب فأسند الموافقة إلى نفسه لا إلى الرب عز وجل.

(٢) قوله في "ثلاث" أي وقائع أو في ثلاثة أمور، وإنما لم يؤنث الثلاث مع أن الأمر مذكر لأن المميز إذا لم يكن مذكوراً جاز في لفظ العدد التذكير والتأنيث، قال ابن حجر: وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غيرها، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: "ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر". وهذا دال على كثرة موافقته. وقد تحصل من جملة الأخبار لعمر من الموافقات خمسة عشر، تسعٌ لفظيات، وأربعٌ معنويات، وثِنْتان في التوراة.

فأما اللفظيات:

أ- مقام إبراهيم عليه السلام حيث قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت.

ب- الحجاب.

ج- أسارى بدر حيث شاوره ﷺ فيهم فقال: يا رسول الله هؤلاء أئمة الكفر فاضرب أعناقهم فَهَوى رسول الله ﷺ ما قاله الصديق من إطلاقهم وأَخْذ الفداء فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾٦٧/ الأنفال.

د- قوله رضي الله عنه لأمهات المؤمنين: لتَكُفُّنَّ عن رسول الله ﷺ أو لَيُبَدِّلَنَّهُ الله أزواجاً خيراً منكن. فنزلت ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ ﴾٥/ التحريم.

هـ - قوله رضي الله عنه لما اعتزل النبي ﷺ نساءه في المشربة: يا رسول الله إن كنت طلقت نساءك فإن الله عز وجل معك وجبريل وأنا وأبو بكر والمؤمنون فأنزل الله ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ.... ﴾٤/ التحريم

و- أخذه رضي الله عنه بثوب النبي ﷺ لما قام يصلي على عبد الله بن أُبَيٍّ ومَنْعُه من الصلاة عليه فأنزل الله ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً ﴾ ٨٤/ التوبة

ز- لما نزل قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾٨٠/ التوبة، قال ﷺ: فلأزيدن على السبعين فأخذ في الاستغفار لهم، فقال عمر: يا رسول الله لا يغفر الله لهم أبداً أستغفرت أم لم تستغفر لهم فنزلت ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾٦/ المنافقون.

ح- لما نزل قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله تعالى﴿ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ الآيات ١٢، ١٣، ١٤ من سورة المؤمنون.قال عمر: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: تزيد في القرآن يا عمر، فنزل جبريل بها وقال: إنها تمام الآية.

ط – لما استشاره عليه الصلاة والسلام في عائشة حين قال أهل الإفك ما قالوا، فقال عمر: يا رسول الله من زَوَّجَكَهَا قال: الله تعالى، قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٦/ النور فأنزلها الله تعالى.

وأما المعنويات:

أ- روى ابن السمان أن عمر قال لليهود: أنشدكم الله هل تجدون وصف محمد ﷺ في كتابكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا: الله لم يبعث رسولاً إلا كان له من الملائكة كفيل، وإن جبريل هو الذي يكفل محمداً ﷺ وهو عدونا من الملائكة، وميكائيل سلْمُنا فلو كان هو الذي يأتيه لاتبعناه، قال عمر: فإني أشهد أنه ما كان ميكائيل ليسالم عدو جبريل وما كان جبريل ليسالم عدو ميكائيل فنزل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ...﴾ إلى قوله ﴿ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾٩٧، ٩٨/البقرة

ب – أن عمر ﷺ كان حريصاً على تحريم الخمر وكان يقول: اللهم بين لنا في الخمر فإنها تُذهب المال والعقل، فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾٢١٩/البقرة، فتلاها عليه عليه الصلاة والسلام فلم ير فيها بياناً فقال: اللهم بين لنا فيها بياناً شافياً فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى...﴾٤٣/النساء فتلاها عليه ﷺ فلم ير فيها بياناً شافياً فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾٩٠/المائدة فتلاها عليه ﷺ، فقال عمر عند ذلك: انتهينا يا رب انتهينا.

ج- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ أرسل غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله: وددت أن لو أُمرنا ونُهينا في حال الاستئذان فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ٥٨/النور.

وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلاثٍ- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ من مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى[(١)]

د- لما نزل قول الله تعالى ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ ١٣، ١٤/الواقعة، بكى عمر وقال: يا رسول الله "وقليل من الآخرين"آمنا برسول الله وصدقناه من ينجو منا قليل؟، فأنزل الله تعالى ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾٣٩، ٤٠/الواقعة، فدعاه رسول الله ﷺ وقال: قد نزلت فيما قلت.

وأما موافقته لما في التوراة:

أ- عن طارق بن شهاب جاء رجل يهودي إلى عمر بن الخطاب فقال: أرأيتَ قول الله تعالى﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾١٣٣/آل عمران، فأين النار؟ فقال لأصحاب النبي ﷺ: أجيبوه فلم يكن عندهم منها شيء، فقال عمر: أرأيت النهار إذا جاء، أليس يملأ السموات والأرض؟ قال: بلى. قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله عز وجل، قال عمر: فالنار حيث شاء الله عز وجل، قال اليهودي والذي نفسك بيده يا أمير المؤمنين إنها لفي كتاب الله المترل "أي التوراة" كما قلت. خرَّجه الخلعي وابن السمان في الموافقة.

ب- روى أن كعب الأحبار قال يوما عند عمر بن الخطاب: ويل لمَلِكِ الأرض من مَلِكِ السماء فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: والذي نفسي بيده أنها لتابعتها في كتاب الله عز وجل، فخر عمر ساجداً لله. "ملخصاً من مناقب عمر من الرياض النضرة".

(١) أي بين يدي القبلة، يقوم الإمام عنده. زاد البخاري في رواية فترلت﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾١٢٥/ البقرة، قال ابن الجوزي : إنما طلب عمر الاستنان بـإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة؛ لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ ١٢٤/ البقرة، وقوله تعالى: ﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ١٢٣/النحل، فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة، ولكون البيت مضافاً إليه وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء؛ ليُذْكر به بعد موته، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه، ولم تزل آثار قدمي إبراهيم عليه السلام ظاهرة فيه معروفة عند العرب في جاهليتها؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته اللامية المعروفة:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غيرَ ناعل.

وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه يَدْخُلُ عَلَيْكَ(١) الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ(٢)، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَات الْمُؤْمنينَ بالْحجَاب، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحجَاب(٣) قَالَ: وَبَلَغَني مُعَاتَبَةُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بَعْضَ نسَائه، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، قُلْتُ: إِن انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ خَيْرًا منكُنَّ. حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نسَائه، قَالَتْ: يَا عُمَرُ أَمَا في رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا يَعظُ نسَاءَهُ حَتَّى تَعظَهُنَّ أَنْتَ(٤) فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبدلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا منْكُنَّ مُسْلمَات) الآيَةَ(٥). رواه البخاري(٦).

---

(١) أي في حجرات أمهات المؤمنين.

(٢) الفاجر: أي الفاسق وهو مقابل البَرّ. قال الجوهري: فَجَر فجوراً أي فسق، وفَجَراً أي كذب وأصله المَيْل والفاجر المائل.

(٣) وهو قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾٥٩/الأحزاب، قال عياض: أما الحجاب الذي خُصّ به زوجات النبي ﷺ فهو فَرْضٌ عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف لشهادة ولا لغيرها، ولا إظهار شخصهن إذا خرجن، كما فعلت حفصة يوم مات أبوها ستر شخصها حين خرجت . قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾٥٣/ الأحزاب . وقال القنوجي في عون الباري: وهو واجب في حقهن مستحب لغيرهن من نساء الأمة.

(٤) القائلة هذا هي أم سلمة كما جاء في رواية بلفظ فقالت أم سلمة: عجبا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ ونسائه، وقال الخطيب: هي زينب بنت جحش وتبعه النووي.

(٥) الآية رقم٥ من سورة التحريم.

(٦) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله عز وجل﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حديث رقم٤٤٨٣

وعن الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يقول شيخنا الخطيب: في ديوانه وحي الحديث:

وعلى أبي حفص خليفته الـذي للـذين كـان هِزَبْـرَهُ الفتّاكـا[1]
أبـداه بعـد تَسَـتُّرٍ وأعَـزَّه فـتح الـبلاد ودَوَّخَ الأملاكـا
يا مُحْصيًا أهـلَ الجهـاد وبانيًـا للنـاس أمصـاراً وبَيْـتَ عَطَاكَـا
يا مُلْهَمًا ما قـال فيمـا لم يكـن إلا وكـان إذا يكـون كَـذَاكا
وافَقْتَ رَبَّـك في أمـور أو رَأي مثل الـذي فيهـا تـرى مولاكـا
وسَنَنْتَ في شهر الصـيام قيامَـهُ بمسـاجدٍ وأضَـأْتَهَا بضـياكا
ومنعْتَ عَمْرًا حـين جـال ببالـه حَفْـرُ القنـاة محـاذِراً أعـداكا
ولقد دَعَوْتَ وأنت تخطـب جمعـةً يا سـارِيَ الجبـلَ المنيـعَ وراكـا
فنجا بيُمْنِـك والجنـودُ، ونيلُنـا أجـرى كتابُـك منـاءَهُ ودعاكـا
ونَجَتْ عروسُ النيل من إغراقهـا فيه ليَجْـرِيَ جَـلَّ مَـنْ أوْلاكـا
بالقسط قُمْتَ وأنت أكبرُ مُقسـط فرمـاك قاسـط دهـره أفّاكـا
فَحَيِيتَ في الشهداء يا بطل الهدى ولَقِيتَ خـيرَ الْخُلْـد في مأواكـا

الهزبر: اسم من أسماء الأسد .

١٩- النبي ﷺ وابن سلول

عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْد[١] رَضِي اللَّه عَنْهمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ رَكِبَ عَلَى حمَارٍ عَلَى قطيفَة[٢] فَدَكيَّة[٣] وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْد وَرَاءَهُ- يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِث بْنِ الْخَزْرَجِ[٤] قَبْلَ وَقْعَة بَدْرٍ- قال: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فيه عَبْدُ اللَّه بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ، وَذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلمَ[٥] عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا في الْمَجْلِسِ أَخْلاطٌ[٦] منَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَة الأَوْثَانِ وَالْيَهُود وَالْمُسْلمينَ[٧]، وَفي

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي.

(٢) القطيفة: بفتح القاف وكسر الطاء كساء غليظ.

(٣) فَدَكيَّةٌ: أي منسوبة إلى فَدَك، وهي قرية في شرقي حرّة خيبر. قال ابن حجر: فدك بفتح الفاء بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل، وقال ابن إسحاق في خبرها: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله سبحانه وتعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقدمَتْ، عليه رُسُلُهم بخيبر أو بعدما قدم المدينة فقَبِلَ ذلك منهم، وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة؛ لأنه لم يُوجِفْ عليها خيلاً ولا ركاباً.

وفدك الآن واد ذو نخل وعيون يعرف باسم الحائط على اسم حائط النخل من قرى حَرَّة خيبر، وهي كثيرة الفاكهة والعيون، وتبلغ المسافة بينها وبين مدينة حائل ٢٧٠ كيلو تقريباً، فأقرب الطرق من المدينة إليها من بلدة النقرة.

(٤) أي في منازل بني الحارث بن الخزرج وهم قوم سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ.

(٥) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: أي قبل أن يُظْهِرَ الإسلام وإلا فهو لم يُسلم قط.

(٦) أخلاط: بفتح الهمزة جمع خِلْط والمراد به الأنواع.

(٧) وقوله والمسلمين بذكر المسلمين أولاً وآخراً والأولى حذف إحداهما، قال الكرماني: لعل في بعض النسخ كان أولاً وفي بعضها آخراً فجمع الكاتب بينهما، جاء في فتح الباري: يظهر توجيه إعادة لفظ المسلمين كما أنه فسر الأخلاط بشيئين: المسلمين والمشركين، ثم لما فسر المشركين بشيئين رأى إعادة ذكر المسلمين تأكيداً، ولو كان

الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ(١)، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ(٢) الدَّابَّةِ خَمَّرَ(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ(٤)، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لا أَحْسَنَ(٥) مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ(٦)، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى

قال أولاً من المسلمين والمشركين واليهود ما احتاج إلى إعادة، وإطلاق المشركين على اليهود لكونهم يضاهون قولهم ويرجحونهم على المسلمين ويوافقونهم في تكذيب الرسول ﷺ ومعاداته وقتاله بعد ما تبين لهم الحق، ويؤيد ذلك أنه قال في آخر الحديث: "قال عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان" فعطف عبدة الأوثان على المشركين.

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر أحد السابقين شهد بدراً، استشهد بمؤتة وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

(٢) عجاجة الدابة: غبارها.

(٣) خَمَّرَ: بفتح الخاء وتشديد الميم أي غطى.

(٤) قال صاحب التوضيح: لعله نوى به المسلمين.

(٥) لا أحسن مما تقول: بفتح الهمزة على وزن أفعل التفضيل وهو اسم لا وخبرها محذوف أي لا أحسن كائن مما تقول، قيل ويجوز رفع أحسن على أنه خبر لا والاسم محذوف أي لا شيء أحسن مما تقول، وحكى ابن الجوزي ضم الهمزة وتشديد السين بغير نون يعني لا أعلم شيئاً، وفي نسخة لا أحسن بضم الهمزة وكسر السين وضم النون أي لا أفهمه ولا أقبله.

(٦) الرِّحال: يعني الدور والمساكن والمنازل، وهي جمع رَحْل يقال لمترل الإنسان وسكنه رحْله وانتهينا إلى رحالنا أي: منازلنا.

كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ[١]، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ[٢] حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْد بْنِ عُبَادَة، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَاب[٣]"؟. يُرِيدُ عَبْدَ اللَّه بْنَ أُبَيٍّ- "قَالَ كَذَا وَكَذَا". قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّه، اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ عَنْهُ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، وَلَقَد اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِه الْبُحَيْرَة[٤] عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَة[٥]، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ[٦]

---

(١) كادوا يتثاورون: أي قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا، يقال ثـار إذا قـام بسرعة وإنزعاج.

(٢) يخفضهم: أي يُسَكِّنُهُم ويُهَوِّن عليهم الأمر، من الخفض وهو الدَّعَةُ والسكون.

(٣) أبو حُباب: كُنْية عبد الله بن أُبي، وليست الكنية للتكرمة مطلقاً، بل قد تكون للشهرة وغيرها.

(٤) البُحَيْرَةُ بالتصغير وقال عياض البَحرة بفتح الباء وسكون الحاء مكبَّرة، وكلاهمـا بمعنى واحد وهذا اللفظ يطلق على القرية والبلد، والمراد به هنا المدينة النبوية، (وقال الطـبري: كل قرية لها نهر جار فالعرب تسميها بحره)، وقال ياقوت بحرة من أسماء مدينـة سـيدنا رسول الله ﷺ والبُحيرة تصغير بَحْره ويراد به كل مستنقَع لا اتصال له بـالبحر الأعظـم غالباً، وذكر بُحَيْرات عديدةً ثم قال آخرها البحيرة كورة (إقليم) بمصر قرب الإسكندرية.

(٥) العصابة: "العمامة" أي فيعممونه بعمامة الملوك، قال الكرماني: أي يجعلوه رئيساً لهم، ويُسَوِّدُوه عليهم، وكان الرئيس معصباً لما يعصب برأيه من الأمر، وقيل كان الرؤساء يعصبون رؤساؤهم بعصابة يُعرفون بها.

(٦) شَرِق: بفتح الشين وكسر الراء: يعني غَصَّ لأنه حسد رسول الله ﷺ فكـان سـبب نفاقه، يقال غَصَّ الرجل بالطعام، وشرِق بالماء وشَجِيَ بالعظم إذا اعترض شيء مـن ذلك في الحلق فمنع الإساغة. قال ابن الأثير: هو مجاز فيما نال من أمر رسول الله ﷺ وحل به، حتى كأنه شيء لم يقدر على إساغته وابتلاعه فغصَّ به.

بذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِه مَا رَأَيْتَ[١]. فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ[٢]، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ[٣]، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِه صَنَادِيدَ[٤] كُفَّارِ قُرَيْشٍ. قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ[٥] هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ[٦]. فَبَايَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمُوا.

---

(١) قوله "فذلك فعل به ما رأيت" أي فذلك الحق الذي أتيتَ به يا رسول الله فعل به ما رأيت من قوله وفعله القبيحين.

(٢) قال تعالى ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ﴾ ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ ١٨٦/آل عمران، قال العيني: ولتسمعن خطاب للمؤمنين خُوطبوا بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما يتلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها، وقال ابن كثير: يقول الله تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلياً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، وأمرهم بالصبر والصفح حتى يفرج الله عنهم، فإن الصبر والتقوى مما عزم الله أن يكون ذلك عزمة من عزمات الله، لابد لكم أن تصبروا وتتقوا، جاء في فتح المبدي: فكل من قام بحق أو أمرٍ بمعروف أو نَهْيٍ عن منكر فلابد أن يُؤْذَى فماله من دواء إلا الصبر في الله تعالى والاستعانة به والرجوع إليه.

(٣) "حتى أذن الله فيهم" أي في القتال فترك العفو عنهم بالنية للقتال وإلا فكم عفا عن كثير من اليهود المشركين بالمن والفداء وغير ذلك.

(٤) صناديد كفار قريش: هم أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، الواحد صِنديد وكل عظيم غالب صنديد.

(٥) وعبدة الأوثان: عطفهم على المشركين من عطف الخاص على العام لأن إيمانهم كان أبعدَ وضلالهم أشد.

(٦) أي ظهر وجهه.

رواه البخاري[1]. *

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حديث رقم٤٥٦٦.

ويؤخذ من الحديث:

جواز الإرداف- عيادة الكبير والصغير وعدم امتناع الكبير عن ركوب الدواب- إظهار التواضع والنصح- جواز العيادة راكباً- جواز السلام على المسلمين إذا كان معهم كفار وينوي حينئذ بالسلام المسلمين.

قال شيخنا الخطيب ﷺ: في ديوانه وحي الحديث:

وانصح مع التفويض مَنْ ضَلَّ الصّوَى ... إن الْمُوَفَّق للهُدَى مولاكا

لو شاء منهم أن يُطيعوا أمره ... لتسابقوا نحو الهدى إدراكا

خُذْ ما يُفيدك عاجلاً أو آجلاً ... واطرح كلام الناقدين وراكا

إن كنتَ رَبَّ نَدًى فأنت مبذر ... أو كنت ذا بخل فما أكداكا

وإذا اهتديت فأنت صاحب حاجة ... وإذا غَوَيْتَ فأنت ما أغواكا

٢٠- الواجد مع زوجه رجلا

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد، أَنَّ عُوَيْمِرًا(١)، أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ(٢)- وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ- فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَته رَجُلا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ(٣) أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ(٤)؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه -فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْمَسَائِلَ- فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ. فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ (٥) كَرِهَ الْمَسَائِلَ(٦) وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّه لا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه

---

(١) عويمر: تصغير عامر والمقصود به عامر بن الحرث بن زيد بن الجد بن عجلان، وفي رواية عن مالك بن عويمر بن أشقر، وفي الاستيعاب عويمر بن أبيض، قال الحافظ ابن حجر: فلعل أباه كان يلقب أشقر وأبيض.

(٢) أي العجلاني وهو ابن عم والد عويمر.

(٣) أي قصاصاً لقوله تعالى: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ٤٥/ المائدة وفي رواية ابن عباس لما نزل: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾٤/ النور، قال عاصم بن عدي: إن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امراته فإن جاء بأربعة يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وذهب، وإن قتله قُتِلَ به، وإن قال وجدت فلاناً معها ضُرِب، وإن سكت سكت على غيظ.

(٤) قوله "أم" يحتمل أن تكون متصلة يعني إذا رأى الرجل هذا المنكر الشنيع والأمر الفظيع وثارت عليه الحمية، أيقتله فتقتلونه، أم يصبر على ذلك الشَّنار والعار؟ ويحتمل أن تكون منقطعة، فسأل أولاً عن القتل مع القصاص، ثم أضرب عنه إلى سؤاله؛ لأن أم المنقطعة متضمنة لِبَلْ، والهمزة تستأنف كلاماً آخر، والمعنى كيف يصنع أيصبر على العار أو يُحدث الله له أمراً آخر. فلذا قال سل لي رسول الله ﷺ.

(٥) حذف المفعول لدلالة الكلام السابق عليه.

(٦) أي لما فيها من البشاعة والإشاعة على المسلمين والمسلمات، وتسليط العدو في الدين بالخوض في أعراضهم.

رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَته رَجُلا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فيكَ وَفي صَاحبَتكَ(١)". فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالْمُلاعَنَة(٢) بمَا سَمَّى اللَّهُ في كتَابه، فَلاعَنَهَا(٣) ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا، فَطَلَّقَهَا(٤)، فَكَانَتْ سُنَّةً لمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا في الْمُتَلاعنَيْن(٥)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه

---

(١) وهي زوجته خولة بنت قيس، وقيل بنت عاصم، وما ذكر ليس صريحاً في أن عويمراً أول من لاعن لما ورد أن هلال بن أمية لاعن قبله.

(٢) الملاعنة: مصدر لاعن، وقال في المغرب لعنه لعناً ولاعنه ملاعنة ولعاناً وتلاعنوا لعن بعضهم بعضاً، وهو لغة: الطرد والإبعاد، وشرعاً: كلمات معلومات جُعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطخ فراشه وألحق العار به، أو إلى نفي الولد، وإنما سمي لعاناً لأن كلاً من الزوجين يَبْعد عن صاحبه، بما سمى الله في كتابه في هذه الآية بأن يقول الزوج أربع مرات: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رَمَيْتُ به هذه من الزنى، والخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى ويشير إليها في الحضور ويميزها في الغيبة ويأتي بدل ضمائر الغائب بضمائر المتكلم فيقول لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين وإن كان ولداً ينفيه ذكره في الكلمات الخمس، لينتفي عنه فيقول: إن الولد الذي ولَدَتْه، أو هذا الولد من زنى وليس مني.

(٣) فلاعنها: أي لاعن عويمر زوجته خولة بعد أن قذفها. وأتت عند النبي ﷺ ، وسألها فأنكرت ، وأصر عويمر.

(٤) زاد في رواية ثلاثاً، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: وأخذ بظاهره بعضهم فقال: إنما تحصل البينونة بالطلاق لا باللعان. وقال الشافعي: إنها تحصل بلعان الزوج. وقال مالك: بلعانها بعده، وإنما طلق عويمر امرأته بعد اللعان ظناً منه أن اللعان لا يحرمها، فأراد تحريمها بالطلاق، والحاصل أنها حُرّمت عليه باللعان لا بالطلاق وإن فُرْقتها باللعان فُرقة فَسْخٍ لا طلاق.

(٥) فكانت: أي الفرقة بينهما سُنَّةً لمن كان بعدهما في المتلاعنَيْن لا يجتمعان بعد الملاعنة أبداً.

وَسَلَّمَ: "انْظُرُوا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ[١] أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ[٢] عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ[٣] فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ[٤] فَلا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا، إِلا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا". فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ، فَكَانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ[٥]. رواه البخاري. ومسلم[٦]. *

---

(١) أسحم: أسود.

(٢) الدَّعَجُ والدعجة: السواد في العين وغيرها، وقيل: الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها.

(٣) خَدَلَّجَ الساقين: أي عظيم ساقي القدمين.

(٤) الوَحَرَةُ: بفتح الواو والراء دُوَيْبَّةٌ تترامى على الطعام واللحم وتفسده وهي نوع من أنواع الوَزَغِ وشبهه بها لحمرتها وقِصَرِهَا.

(٥) إعتبر ﷺ الشبه من غير حكم به لأجل ما هو أقوى من الشبه وهو الفراش، وإنما يحكم بالشبه وهو حكم القافة إذا استوت العلائق كسيدين وطئا في طهر.

(٦) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ حديث رقم٤٧٤٥ ، صحيح مسلم كتاب اللعان جـ٤ ص٢٠٥.

ويؤخذ من الحديث:

- أن الصحابة كانوا يسألون عن الحكم الذي لم يترل فيه وحي.
- أن للعالِم إذا كره السؤال أن يَعيبَه ويُهجِّنه.
- وأن من لقي شيئاً من المكروه بسبب غيره يعاتبه عليه.
- وأن المحتاج إلى معرفة الحكم لا يردُّه كراهَةُ العالم لما يسأل عنه ولا غَضَبُهُ عليه ولا جَفَاؤُه عنه بل يُعاود ملاطفته إلى أن يقضي حاجته.
- وأن السؤال عما يلزم من أمور الدين مشروع سراً وجهراً.
- وأن لا عيب على السائل ولو كان مما يُستَقْبَح.
- وفيه التحريض على التوبة.

- والعمل بالستر.
- وفيه كراهية المسائل التي يترتب عليها هتك الستر" أو التوصل إلى أذية المسلم بأي سبب كان .
- وفيه أن الحامل تلاعن قبل الوضع؛ لقوله: (انظروا فإن جاءت به...).

وتحت موضوع إياك وزواج هؤلاء، من وحي الحديث، يقول شيخنا الخطيب:

وذَرِ اللَّفُوتَ شَهَابراً ولهابراً ... ونَهَابراً وهَنَادراً إياكا[(١)]
أَنانَة منّانَةً حَدّاقَةً ... بَرّاقَةً حَنّانَةً لسواكا[(٢)]
شَدّاقة خلاّعة لك عاهراً ... آختَ سِواك وناشِزاً تأباكا[(٣)]

(١) اللفوت: ذات الولد من غيرك . والشهابر. جمع شهبرة : الزرقاء البَذِيَّة. واللهابر جمع لهبرة : الطويلة المهزولة . والنهابر جمع نهبره : العجوز المُدبرة . الهنادر جمع هندرة : القصيرة الذميمة . روى أن النبي ﷺ قال لزيد بن حارثة : لا تتزوج شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هندرة ولا لفوتا .

(٢) الأنانة : مكثرة الأنين مرضا أو تمارضا ونكاحها لا خير فيه ، والمنانة : التي تمن على زوجها بما فعلت له. والحداقة : التي ترمي ببصرها إلى كل شيء فتشتهيه وتكلف زوجها شراءه. والبرّاقة : التي تزين وجهها ليبرق أو تغضب على الطعام .

(٣) الخلاعة : كثيرة طلب الخلع . والعاهر : الفاجرة ، والناشز : المؤذية زوجها قولاً وفعلاً .

٢١- المُلاعِنُ امرأته أيضاً

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ هلالَ بْنَ أُمَيَّةَ[١]، قَذَفَ امْرَأَتَهُ[٢] عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بشَرِيك ابْنِ سَحْمَاءَ[٣]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ[٤] فِي ظَهْرِكَ". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَته رَجُلا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "الْبَيِّنَةَ وَإِلا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ" فَقَالَ هلالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، وَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ (إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ...)[٥] فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلالٌ، فَشَهِدَ[٦]، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ[٧]"؟. ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ[٨]، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا،وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ[٩]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَتَلَكَّأَتْ[١٠] وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ ، ثُمَّ قَالَتْ : لا أَفْضَحُ

---

(١) هلال بن أمية: الواقفي الأنصاري أحد الثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك وتِيبَ عليهم.

(٢) خولة بنت عاصم.

(٣) سحماء: بفتح السين وسكون الحاء اسم أمه كانت حبشية، وقيل كانت يمانية، واسم أبيه عبده بن معتب.

(٤) البينة: بالنصب أي أحضر البينة أو حَدٌّ، أي أو عليك حدٌّ، ويجوز رفع البينة أي عليك البينة أو حدٌّ.

(٥) الآيات٦، ٧، ٨، ٩ من سورة النور.

(٦) أي شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في الرمي.

(٧) عرض لها بالتوبة بلفظ الاستفهام؛ لإبهام الكاذب منهما، فلذلك لم يقل لهما توبا، ولا لأحدهما بعينه تب، ولا قال ليتب الكاذب منكما.

(٨) أي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماها به.

(٩) أي موجبة للعذاب الأليم إن كانت كاذبة.

(١٠) فتلكأت: بتشديد الكاف أي فتبطأت عن ذلك.

قَوْمي سَائِرَ الْيَوْمِ[١]– فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : "أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ[٢] سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ[٣] خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ". فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : "لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ"[٤]. رواه البخاري[٥].

---

(١) أي جميع الأيام: أيام الدهر، أو فيما بقي من الأيام بالإعراض عن اللعان والرجوع إلى تصديق الزوج، وأريد باليوم الجنس ولذلك أجراه مجرى العام.

(٢) الكَحَل: أن يعلو جفون العينين سواد من غير اكتحال.

(٣) أي ضخمهما.

(٤) أي في إقامة الحد عليها: وما يتبعه، قال القسطلاني: وفي ذكر الشأن وتنكيره تهويل عظيم لما كان يفعل بها، أي لفعلتُ بها ما يكون عبرة للناظرين وتذكرة للسامعين .
قال النووي: اختلف في نزول آية اللعان هل هو في هلال، أو عويمر؟ الأكثر على أنه عويمر، وأما قوله ﷺ لعويمر "أنزل الله فيك وفي صاحبتك" فقالوا معناه الإشارة إلى ما نزل في هلال؛ لأن الحكم عام لجميع الناس، أو لعلهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان فيصدق أنها نزلت في ذا أو ذاك.

(٥) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ حديث رقم٤٧٤٧.

ويؤخذ من الحديث:

- شرع اللعان لمن ليست له بيِّنة.
- وفي قوله:(البينة أو حَدٌّ في ظهرك) دلالة على أن القاذف لو عجز عن البينة فطلب تحليف المقذوف فإنه لا يُجاب لذلك.
- وفيه جواز ذكر الأوصاف المذمومة عند الضرورة الداعية على ذلك، ولا يكون ذلك من الغيبة المحرمة.
- وفيه أن الحكم يتعلق بالظاهر وعلم السرائر موكول إلى الله تعالى.
- انحصار الحق في أحد الجانبين لقوله ﷺ (إن أحدكما كاذب) وأن الخصمين المتكاذبين لا يعاقَبُ واحد منهما وإن أحاط العلم بكذب أحدهما لا بعينه. ولا يعاقب ولو لاحت القرائن بتعيين الكاذب بعد الملاعنة.
- وفيه أن اللعان إذا وقع سقط حد القذف عن الملاعن للمرأة وللذي رُميت به.

٢٢- محاجة الجنة والنار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ(١) فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ(٢) بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ(٣). وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ(٤)؟. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي(٥) أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ(٦) فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى

---

(١) تحاجت الجنة والنار: تخاصمت بلسان المقال أو الحال.

(٢) أوثرت: بضم الهمزة مبني للمجهول بمعنى اختصصت.

(٣) بالمتكبرين والمتجبرين: قيل هما بمعنى واحد والثاني تأكيد للأول، وقيل المتكبر المتعظّم بما ليس فيه، والمتجبر الممنوع لا يُوصل إليه، وقيل الذي لا يكترث بأمر ضعفاء الناس وسَقَطِهِمْ.

(٤) ضعفاء الناس وسقطهم: بفتح السين والقاف: الْمُحْتَقَرُون بينهم الساقطون في أعينهم، قال ابن حجر: هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثرين من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله، والذلة في عباده ، فوصْفُهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، أو المراد بالحصر في قول الجنة "إلا ضعفاء الناس" الأغلب.
وقال النووي: هذا الحديث على ظاهره، وإن الله يخلق في الجنة والنار تمييزاً يدركان به، ويقدران على المراجعة والاحتجاج، ويحتمل أن يكون بلسان الحال.

(٥) ولأبي ذر عند الكشميهني: أنت رحمة، وسماها رحمة؛ لأن بها تظهر رحمته تعالى، كما قال"أرحم بك من أشاء من عبادي"..

(٦) وعند مسلم "يضع الله رجله" وأنكر ابن فورك لفظ رجله وقال: إنها غير ثابتة، وقال ابن الجوزي: هي تحريف من بعض الرواة، ويرد عليه برواية الصحيحين بها، وأوَّلتها بالجماعة كرِجْلٍ من جراد أي يضع الله فيها جماعة، وأضافهم إليه إضافة اختصاص.
وقال محيي السنة الإمام البغوي: القدم والرجل في هذا الحديث من صفات الله تعالى=

بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ[(١)]، وَلا يَظْلِمُ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا[(٢)]، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا"[(٣)]. رواه الشيخان[(٤)].

=المنزه عن التكييف والتشبيه، فالإيمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيِّف مُشَبِّهٌ، "ليس كمثله شيء"

وقال ابن حبان في صحيحه بعد إخراجه: هذا من الأخبار التي أُطلقت بتمثيل المحاورة وذلك أن يوم القيامة يُلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عُصى الله فيها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب فيها موضعاً من الأمكنة المذكورة فتمتلئ؛ لأن العرب تطلق القدم على الموضع قال تعالى﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ يريد. موضع صدق.

(١) أي يضم بعضها إلى بعض.

(٢) أي لم يعمل سوءاً.

(٣) لم تعمل خيراً حتى تمتلئ، فالثواب ليس موقوفا على العمل. وفي حديث أنس عند مسلم مرفوعاً "يبقى من الجنة ما شاء الله ثم ينشيء الله لها خلقاً مما شاء" وفي رواية له ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ رقم٤٨٥٠ صحيح مسلم .كتاب صفة النار (باب النار يدخلها الجبارون) ج٨.

قال شيخنا الخطيب رضي الله عنه في عقيدته:

والجنة الفيحاء في سماه أعَدَّها لكل من يخشاه

وأوقد النار لمن قد أجرموا وغيرُه مكانُها لا يعلم

٢٣- تَنَزُّلُ الملائكة لسماع أُسيد بن حُضَير

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ(١)، فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَنَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ(٢)، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ(٣) رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ"(٤). قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ(٥) فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ(٦)، فَخَرَجْتُ حَتَّى لا أَرَاهَا. قَالَ: "وَتَدْرِي مَا

---

(١) جالت الفرس: اضطربت اضطراباً شديداً.

(٢) أي خاف أن تصيب ابنه يحيى.

(٣) اجتره: بتشديد الراء: أي اجترّ أسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لا يصيبه الفرس.

(٤) هذا ليس أمراً بالقراءة حالة التحديث، بل المعنى كان ينبغي لك أن تستمر في قراءتك وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها. قاله النووي وقال الطيبي: يريد أن اقرأ لفظة أمر وطلب للقراءة في الحال ومعناه تحضيض وطلب للاستزادة في الزمان الماضي أي هلا زدت، وكأنه ﷺ استحضر تلك الحال العجيبة الشأن فأمره تحريضا عليه، والدليل على أن المراد من الأمر الاستزادة وطلب دوام القراءة والنهي عن قطعها قوله: قال: فأشفقت يا رسول الله أي إن دمت على القراءة أن تطأ ابني يحيى، فأجاب بعذره في قطع القراءة.
وقال ابن حجر: دل سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في صلاته كأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه، وكأنه بلغه حديث النهي عن رفع المصلي رأسه إلى السماء فلم يرفعه حتى اشتد به الخطب، ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته

(٥) الظلة: بضم الظاء وتشديد اللام، قال ابن بطال هي السحابة كانت فيها الملائكة ومعها السكينة فإنها تنزل أبداً مع الملائكة.

(٦) المصابيح: السُّرُج.

ذَاكَ؟" قَالَ: لا. قَالَ: "تِلْكَ الْمَلائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ[١]، وَلَوْ قَرَأْتَ[٢] لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ"[٣]. رواه البخاري[٤].

(١) دنت لصوتك: أي قربت، وكان أسيد حسن الصوت، وفي رواية أبي يحيى عن يزيد ابن الهاد: اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود، ففيه إشارة إلى الباعث على استماع الملائكة لقراءته.

(٢) ولو قرأت: أي لو دمت على القراءة.

(٣) لا تتوارى منهم: أي لا تستتر منهم، وفي رواية: لرأيت العجب، أي أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم.

قال السندي: كأنه علم ﷺ في خصوص تلك القراءة تقديرا معلقا أنه لو مضى عليها لظهرت الملائكة للناس، وإلا فلا يلزم من حضور الملائكة ظهورهم للناس كما لا يخص والله أعلم

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن حديث رقم٥٠١٨

وفي القصة من الفوائد:

١- جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة.

٢- فضيلة القراءة وأنها سبب الرحمة وحضور الملائكة.

٣- فضل سورة البقرة في صلاة الليل وتحسين الصوت.

٤- فيه منقبة لأسيد بن حضير.

٥- فضل الخشوع في الصلاة.

٦- أن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يُفَوِّتُ الخير الكثير.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين عن القرآن الكريم :

تفيد روحاً وريحاناً قراءتُه ... وجنةَ النفس والهمم

وشرحَ صدر ونوراً واسعاً وإذا ... أتى به الفتح لا تسأل عن الكرم

وخير ما يبلغ المولى قراءته ... ويعصِمُ المرء في الدارين من وصم

٢٤- عبد الله بن عمرو وامرأته

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[1] رضي الله عنهما، قَالَ أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً[2] ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ[3] فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا[4] فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا[5] فِرَاشًا وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا[6] مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "الْقَنِي بِهِ". فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: "كَيْفَ تَصُومُ؟ "قلت: كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: "وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟ [7]". قلت: كُلَّ لَيْلَةٍ. قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ". قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: "صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ". قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: "أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا"[8]. قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: "صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ[9] صِيَامَ يَوْمٍ، وَإِفْطَارَ يَوْمٍ وَاقْرَأْ فِي كُلِّ

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) قال ابن سعد: هي أم محمد بنت مَحْمِيَة بن جَزْء الزبيدي، وعند أحمد أنها من قريش، ولعله كان المشير عليه بتزويجها وإلا فقد كان عبد الله رجلاً كاملاً، أو قام عنه بالصداق.

(٣) كَنَّته: بفتح الكاف والنون المشددة أي زوجة ابنه.

(٤) البعل: الزوج.

(٥) لم يطأ لنا فراشاً: أي لم يضاجعنا.

(٦) ولم يفتش لنا كنفاً: أي ساتراً مذ أتيناه، وكنَّت بذلك عن تركه لجماعها، إذ عادة الرجل إدخال يده في داخل ثوب زوجته، والكنيف: الساتر، وقيل للمرحاض كنيف لأنه يستر قاضي الحاجة، قال الزبيدي: أي أنه لم يطعم عندنا حتى يحتاج إلى موضع قضاء الحاجة؛ ففيه وصفها له بقيام الليل، وصوم النهار مع الإشارة إلى عدم مضاجعتها وعدم أكله عندها.

(٧) أي القرآن.

(٨) قال الداودي: هذا وهم من الراوي؛ لأن ثلاثة أيام من الجمعة أكثر من فطر يومين وصيام يوم وإنما هو يدرِّجه من القليل إلى الكثير.
قال ابن حجر: هو اعتراض متجه، فلعله وقع من الراوي فيه تقديم وتأخير. وقد سلمت رواية هشيم من ذلك فإن لفظه: (صم كل شهر ثلاثة أيام قلت: إني أقوى من ذلك، فلم يزل يرفعني حتى قال صم يوماً وأفطر يوماً).

(٩) نبي الله عليه السلام.

سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً(١)". فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ- فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ(٢) يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى(٣)

---

(١) وفي رواية فاقرأه في كل شهر، قال: إني أجد أبي أقوى من ذلك، قال: فاقرأه في كل ثلاث من الليالي، وفي مسند الدارمي قلت: يا رسول الله في كم أختم القرآن؟ قال: اختمه في شهر. قلت: إني أطيق. قال: اختمه في خمسة وعشرين. قلت: إني أطيق، قال: اختمه في عشرين، قلت: إني أطيق. قال: اختمه في خمس عشرة. قلت: إني أطيق. قال: اختمه في عشر. قلت: إني أطيق. قال: اختمه في خمس. قلت: إني أطيق. قال: لا، وفي رواية فاقرأ القرآن في سبع ولا تزد على ذلك.

قال القسطلاني: وليس النهي للتحريم، كما أن الأمر في جميع ما مر في الحديث ليس للوجوب، خلافاً لبعض الظاهرية حيث قال بحرمة قراءته في أقل من ثلاث، وأكثر العلماء كما قاله النووي على عدم التقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر اللطائف والمعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرؤه، ومن اشتغل بشيء من مهمات المسلمين كنشر العلم وفصل الخصومات فليقتصر على قدر لا يمنعه من ذلك ولا يخل بما هو مترصد له، ومن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملال أو الْهَذْرَمَة، وقد كان بعضهم يختم في اليوم والليلة، وبعضهم ثلاثاً، وكان ابن الكاتب الصوفي يختم أربعا بالنهار وأربعا بالليل. وقد رأيت بالقدس الشريف في سنة ٨٦٧هـ رجلاً يكنى بأبي الطاهر من أصحاب الشيخ شهاب الدين بن رسلان ذكر لي أنه كان يقرأ في اليوم والليلة خمس عشرة ختمة وثبتني في ذلك في هذا الزمن شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف المقدسي نفع الله بعلومه، وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يُحْصَوْن كثرة منهم عثمان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، وأخبرني غير واحد من الثقات عن صاحبنا الفقيه رضا البكري أنه كان أيضاً يقرأه في ركعة واحدة، والله تعالى يهب ما يشاء لمن يشاء.

(٢) أي والذي يريد أن يقرأه بالليل.

(٣) أي وأحصى عدد أيام الإفطار.

وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عليه. رواه البخاري[١].

---

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن حديث رقم٥٠٥٢.

وعن فضل القرآن يقول شيخنا الخطيب ﷺ في قصيدة حديقة الأخيار في مدح النبي المختار: في ديوانه الرباعيات:

علومك لا تعادلها علوم ... وفهمك دون أدناه الفُهوم
ومن آياتك الذكرُ الحكيمُ ... لأمراض الورى فيه الشفاء
غرائب آيه ليست تُعَدُّ ... ومعناه النهي ليست تحد[١]
أعد لكل خلق ما استعدوا ... فكل نُهيً له منه غذاء
فأكثر من تلاوته وأيقن ... بأنك إن فعلت إليك تحسن
ولا تعدل به إن كنت تؤمن ... أمصباحا وقد طلعت ذُكَاء[٢]
قريب من تلاه من السميع ... وأفضل قربة البر السميع
ويوم الحشر أوجهُ بالشفيع ... شفيعا لا يخيب له رجاء
كفى حُفَّاظَه شرفا كفاهم ... بأن الله للذكر اصطفاهم
ولم يَحبُ امرأ ما قد حباهم ... أما لهمو إليه الانتماء[٣]
لحافظه من الحفظ العظيم ... ويكرمه بداريه الكريم[٤]
وإن وجبت لأهليه الجحيم ... فهم برجائه لهم النجاء

(١) وأي إحسان أبلغ من الثواب المترتب على قراءة أحرف الكتاب. قال ﷺ: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول ألم حرفٌ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

(٢) لا تعدل عنه إلى سواه – ذكاء: الشمس.

(٣) الانتماء: الانتساب. قال ﷺ: إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته. (رواه النسائي وابن ماجة والحاكم بإسناد صحيح).

(٤) الداران: الدنيا والآخرة. قال رسول الله ﷺ: "من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار؛ (رواه الترمذي وابن ماجه).

٢٥- الثلاثة السائلون عن عبادة النبي ﷺ

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّه عَنْه- قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ[(١)] إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا[(٢)] - فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا[(٣)]. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ[(٤)]. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّه إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّه وَأَتْقَاكُمْ لَهُ[(٥)]،

---

(١) الرهط: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقال ابن الأثير: الرهط: من الرجال ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة. ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، ورد في بعض المراسيل أن الثلاثة هم: عليّ بن أبي طالب، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون.

(٢) تقالوها: عَدُّوها قليلة.

(٣) قوله "أبداً" قيد للّيل لا لأصلي.

(٤) أي بالنهار سوى العيدين وأيام التشريق ولذا لم يقيده بالتأبيد.

(٥) وقال ابن الأثير: قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: أراد ﷺ بذلك ردَّ ما بنى القوم المذكورون عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره؛ حيث أعلمهم أنه مع كونه لا يبالغ في التشدد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يتشددون؛ لأن المتشدد منهم لا يأمن منه الملل، بخلاف المقتصد فإنه يأمن منه فيستمر عمله، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه.

وقال ابن الأثير: إن هؤلاء بنوا على أن الخوف الباعث على العبادة ينحصر في خوف العقوبة، فلما علموا أنه ﷺ مغفور له ظنوا أن لا خوف، وحملوا قلة العبادة على ذلك، فردَّ ﷺ عليهم ذلك وبين أن خوف الإجلال أعظم من الإكثار المحقق الانقطاع؛ لأن الدائم وإن قل أكثر من الكثير إذا انقطع.

لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُـنَّتِي(١) فَلَيْسَ مِنِّي(٢). رواه البخاري(٣). *

---

(١) عن سنتي: أي طريقتي.

(٢) فليس مني: قال في منحة الباري: (من) في قوله (مني): اتصالية، أي فليس متصلاً بي قريباً مني، والسنة مفرد مضاف، فتَعُمُّ على الراجح، فتشمل الشهادتين وسائر أركان الإسلام، فيكون الراغب عن ذلك مرتداً، وأما إذا كان ذلك بضرب من التأويل كالورع لقيام شبهة في ذلك الوقت أو عجز عن القيام بذلك أو لمقصود صحيح فيعتذر صاحبه.
قال ابن حجر: المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني.... وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليقوى على الصوم، وينام ليقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

(٣) صحيح البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح حديث رقم٥٠٦٣

ويستفاد من القصة:

- فضل النكاح والترغيب فيه، وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على أنه واجب على المستطيع إذا خشي العنت "أي الوقوع في الزنا" وسنة إذا لم يخش و رجا نسلا وقدر على حقوق الزوجة.
- تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم.
- أن من عزم على عمل بر واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعا بالنسبة له.
- تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم وبيان الأحكام للمكلفين.
- أن المباح قد ينقلب بالنية إلى الاستحباب أو الكراهة.
- قال الطبري: فيه رد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس وآثر غليظ الثياب.
- أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس وهجر المألوفات كلها.

- أن الشريعة المحمدية مبنية على الاقتصاد والتسهيل والتيسير وعدم التعسير قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ١٨٥/البقرة.

وتحت موضوع "سنة المرسلين الزواج" يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث:

يا من أحب المصطفى وطريقَهُ ... والمرسلين ومُتَّقي مولاكا
الله قد سَنَّ الزواج فلا تكن ... مُتَرَهِّباً وحذار أن يقلاكا
لم يَغْن عنه أبوك في المأوى فهل ... ترجو غناك وأنت في دنياكا[1]
نَهْجُ النبي وليس منه من نأي ... عنه فوجِّه نحوه رَغباكا
لِمَ لا تكون به الشغوف وكم به ... خَلَفٌ يفيدك ها هنا وهناكا
يرجو لك الغفران إن تَسْبق وإن ... يسبق فَذُخْرٌ عند من أولاكا[2]
والطَّرْفَ تَحْفَظُهُ وتحفظُ عِفَّةً ... فيه وتُكْسَرُ شهوةٌ لرداكا
ويقيك شَرَّ الفِكْر فيه ومُؤنس ... وَمُرَفِّهٌ وبه يزول شجاكا[3]
وبه على الخلق الكريم رياضة ... وفراغ قلبك من هموم حِمَاكا[4]

(١) أبوك: آدم . والمأوى : الجنة.

(٢) تسبق: تموت قبله . يسبق: يموت قبلك .

(٣) شجاك : حزنك .

(٤) حماك : منزلك .

٢٦- الممهورة بشيء من القرآن

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد[١] ﷺ أَنَّ امْرَأَةً[٢]، عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَوِّجْنِيهَا[٣]. فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ؟[٤]" قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ. قَالَ: "اذْهَبْ فَالْتَمِس[٥] وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيد[٦]". فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لا وَاللَّه مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، وَلا خَاتَمًا مِنْ حَدِيد، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ- قَالَ سَهْلٌ: وَمَا لَهُ رِدَاءٌ- فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ[٧]". فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَاهُ أَوْ دُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: "مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟[٨]". فَقَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا- لِسُوَرٍ يُعَدِّدُهَا[٩]-. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

---

(١) سهل بن سعد الساعدي الأنصاري.

(٢) قيل هي خولة بنت حكيم، وقيل أم شريك الأزدية.

(٣) زاد في الرواية "إن لم يكن لك بها حاجة فزوِّجْنيها".

(٤) وفي رواية "ما عندك شيء" أي تُصْدِقُها إياه.

(٥) الالتماس: افتعال من اللمس فهو استعارة، والمراد الطلب والتحصيل لا حقيقة اللمس الذي هو الجس باليد.

(٦) قوله: "ولو خاتماً من حديد" مبالغة في التقليل، يفيد أنه لابد من المهر في النكاح، وأنه يصح أن يكون شيئاً يسيراً فيصح بكل ما تراضى عليه الزوجان أو مَنْ إليه ولاية العقد.

(٧) هذا الجواب يبين النبي ﷺ للصحابي أن قسمة الرداء لا تنفعه ولا تنفع المرأة.

(٨) أي ما تحفظ منه.

(٩) وفي فوائد تمام الرازي عن أبي أمامة أنها سبع سور من الْمُفَصَّل، وقيل كان معه إحدى وعشرون آية من البقرة وآل عمران.

"أَمْلَكْنَاكَهَا[١] بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ[٢]. وفي رواية عنه رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً- جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالتْ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ لأَهَبَ لكَ نَفْسِي[٣]. فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فصَعَّدَ النَظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ[٤]، ثم طَأْطَأَ رَأْسَهُ- وذكر

---

(١) أملكناكها من التمليك، وفي نسخة: أمكناكها، من التمكين، وفي رواية الأكثر زوجتكها، قال الدار قطني: وهو الصواب، وجمع النووي بينهما بأنه يحتمل صحة اللفظين ويكون جرى لفظ التزويج أولاً فملكها "أي ملك عصمتها" ثم قال له: اذهب فقد مَلَّكْتُهَا بالتزويج السابق.

(٢) قوله: "بما معك من القرآن" الباء للمقابلة بتقدير مضاف أي زَوَّجْتُكَهَا لتعليمك إياها ما معك من القرآن، فيجوز كون التعلم مهراً. قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في منحة الباري:

وخالف الحنفية فقالوا إنها للسببية، والمعنى زوجتكها بسبب ما معك من القرآن، فيخلو النكاح عن المهر، قال القسطلاني: فيكون خاصاً بهذه القضية أو يرجع إلى مهر المثل.

وقال القاضي عياض: يحتمل وجهين: أظهرهما أن يُعَلِّمها ما معه من القرآن أو قدراً معيناً منه، ويكون ذلك صَدَاقاً، ويؤيده قوله في بعض طرقه الصحيحة: فعلمها من القرآن وفي بعضها تعيين عشر من الآيات.

ويحتمل أن الباء للتعليل وأنه زَوَّجَه بها بغير صداق إكراماً له؛ لكونه حافظاً لبعض من القرآن، ويؤيد هذا الاحتمال قصة أم سليم مع أبي سليم، وذلك أنه خطبها فقالت: والله ما مثلك يُرَدُّ ولكنك كافر وأنا مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذلك مهرك، ولا أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها.

قال الصنعاني: والاحتمال الأول أظهر كما قال القاضي عياض لثبوت رواية: فعلَّمَهَا من القرآن.

(٣) أي لأكون لك زوجة بلا مهر، وهذا من خصائص النبي ﷺ، أو التقدير: أهب لك أمر نفسي، فاللام هنا لام التمليك. استُعْمِلَتْ هنا في تمليك المنافع.

(٤) أي نظر إلى أعلاها وأسفلها يتأملها.

الحديث- وقال في آخره: "أتقرؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قلبكَ". قالَ: نَعَمْ. قالَ: "اذْهَبْ فقدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآن ". متفق عليه واللفظ للبخاري(١).

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب عرض المرأة نفسها على الرجل حديث رقم٥١٢١، ٥١٢٦- صحيح مسلم ج٤ ص١٤٣.

وفي الحديث فوائد جمة منها:

- جواز عرض المرأة نفسها على رجل من أهل الصلاح.
- ولاية الإمام على المرأة التي لا قريب لها إذا أذِنَتْ.
- أن الهبة لا تَثْبت إلا بالقبول.
- أنه ينبغي ذكر الصَّداق في العقد؛ لأنه أقطع للتراع وأنفع للمرأة، فلو عقد بغير صداق صح العقد ووجب لها مهر المِثل بالدخول.
- أنه يستحب تعجيل المهر.
- أنه يجوز الحلف وإن لم يكن عليه اليمين، وأنه يجوز الحلف على ما يظنه الحالف؛ لأنه ﷺ قال له بعد يمينه: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً، فدل على أن يمينه كانت على ظنه، ولو كانت لا تكون إلا على العلم لم يكن للأمر بذهابه إلى أهله فائدة.
- أنه لا يجوز للرجل أن يُخرج من مِلْكه ما لابد له منه، كالذي يستر عورته أو يسد خَلَّتَهُ من الطعام أو الشراب؛ لأنه ﷺ علَّلَ مَنْعه عن فسخه ثوبه بقوله: إن لبسته لم يكن عليك منه شيء.
- اختبار مدعي الإعسار؛ فإنه ﷺ لم يُصَدِّقْه في أول دعواه الإعسار حتى ظهرت له قرائن صِدْقه.
- أنه لا تجب الخِطْبة للعقد.
- لا حد لأقل المهر.
- أن الهبة في النكاح خاصة بالنبي ﷺ ؛ لقول الرجل: زوجنيها، ولم يقل هبها لي، ولقولها : وهبت نفسي لك. وسكت ﷺ ، فدل على جواز ذلك خاصة له .
- جواز تأمل محاسن المرأة لإرادة تزويجها، وإن لم تتقدم الرغبة في تزويجها ولا وقعت خطبتها.

٢٧- أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، والنبي ﷺ

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ- رَضِي اللَّهم عَنْهمَا- قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ(١)، وَلا مَمْلُوكٍ(٢)، وَلا شَيْءٍ(٣) غَيْرَ نَاضِحٍ، وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ(٤)، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ(٥) وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ(٦)، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ - الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ(٧)، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: "إِخْ إِخْ(٨)"، لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ(٩)، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ

---

(١) المال في الأصل ما يُمْلَكْ من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يُقْتَنِي ويُملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم.

(٢) قولها "ولا مملوك": عطف خاص على عام والمراد به العبيد والإماء.

(٣) قولها "ولا شيء": عطف عام على خاص وهو يشمل كل ما يُتَمَلَّك ويُتَمَوَّل، ولكن أرادت إخراج ما لابد منه من سكن وملبس ومطعم ونحوها من الضروريات؛ ولهذا استثنت منه الناضح وهو الجمل الذي يُستقى عليه.

(٤) وفي رواية عند مسلم: كنت أخدم الزبير خدمة البيت، وكان له فرس وكنت أسوسه، فلم يكن في خدمته شيء أشد عليَّ من سياسة الفرس، كنت أَحْتَشُّ له، فأقوم عليه.

(٥) أخرز غربه: أي أخيط دلوه إذ الخرز هو الخياطة.

(٦) أضافتهن إلى الصدق مبالغة في تَلَبُّسهِنَّ به في حسن العشرة، والوفاء بالعهد، ورعاية حق الجوار.

(٧) الفرسخ مسافة معلومة من الأرض تقدر بثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف خطوة. وأيضاً ١٦٠٩ متراً. فتكون المسافة التي ذكرتها ٣,٢١٨ كم.

(٨) إخ: بكسر الهمزة وسكون الخاء كلمة تقال عند إناخة البعير.

(٩) قال العيني: أرادت به الإرداف، وإنما عرض عليها الركوب؛ لأنها ذات محرم منه، لأن عائشة عنده ﷺ وهي أختها، أو كان ذلك قبل الحجاب كما فعل بأم حبيبة الْجُهَنِيَّة.

الرِّجَال، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ- وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ[(١)]. - فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي قَد اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِه، فَأَنَاخَ لأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبكِ مَعَهُ[(٢)]. قَالَتْ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي[(٣)] سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي. رواه البخاري[(٤)].

---

(١) وفي رواية: وكان من أغير الناس.

(٢) ووجه قول الزبير هذا، أنه لا عار له في الركوب مع النبي ﷺ بخلاف حَمْل النَّوَى فإنه يَتَوَهَّم منه الناس خِسَّة النفس، ودناءة الهمة، وقلة التمييز.

(٣) وفي رواية: جاء النبي ﷺ سَبْي فأعطاه خادماً. والتوفيق بينهما بأن السبي لما جاء إلى النبي ﷺ أعطى أبا بكر منه خادماً؛ ليرسله إلى ابنته أسماء، فصدق أن النبي ﷺ هو المعطي، ولكن وصل إليها بواسطة أبي بكر ﷺ.

(٤) صحيح البخاري كتاب النكاح (باب الغيرة) حديث رقم٥٢٢٤.

ويستفاد من القصة:

- أن على المرأة القيام بجميع ما يحتاج إليه زوجها من الخدمة، وإليه ذهب أبو ثور، ويؤيده قصة فاطمة وشكواها مما تَلْقى من الرَّحَى، والجمهور على أنها متطوعة بذلك، أو يختلف ذلك باختلاف عوائد البلد.
- جواز ارتداف المرأة خلف الرجل.
- غيرة الرجل عند ابتذال أهله فيما يَشُقُّ من الخدمة وأَنَفَةُ نفسه من ذلك لا سيما إذا كانت ذات حسب.
- **في الحديث** منقبة لأسماء بنت أبي بكر، وللزبير بن العوام، ولأبي بكر ولنساء الأنصار.
- **ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه:**

يا باغي الزوج لا تعدل بصالحة ... جميلة النهج ذات الخلق والخُلُقِ
قليلة المهر في بيت التُّقَى نشأت ... فالنسل ينشأ مثل الأم في النَّسَقِ

٢٨- أكلت مغافير

عَنْ عَائِشَةَ- رَضِي اللَّه عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُحبُّ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ(١)، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ منَ الْعَصْرِ(٢) دَخَلَ عَلَى نسَائه، فَيَدْنُو منْ إِحْدَاهُنَّ(٣)، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْت عُمَرَ، فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَغِرْتُ(٤)، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلكَ، فَقيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ منْ قَوْمِهَا عُكَّةً منْ عَسَلٍ(٥)، فَسَقَت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ منْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ:

---

(١) وفي رواية "كان يحب الحلواء والعسل" بتقديم الحلواء على العسل، وهَاهُنَا قدم العسل على الحلواء، قال الكرماني: ذكر العسل بعده للتنبيه على شرفه، وهو من باب عطف العام على الخاص، وقال النووي: قال العلماء: المراد بالحلواء هنا كل شيء حلو، وذكر العسل بعدها تنبيهاً على شرفه ومَزِيَّته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وقال بعضهم لتقديم كل منهما على الآخر جهة من جهات التقديم، فتقديم العسل لشرفه ولأنه أصل من أصول الحلواء، ولأنه مفرد والحلواء مركب، وتقديم الحلواء لشمولها وتنوُّعها لأنها تُتَّخَذُ من العسل وغيره.
وقال الثعالبي: الحلواء التي يحبها رسول الله ﷺ تمر يُعجن بلبن، قال شيخنا الخطيب ﷺ: لم تكن محبته ﷺ لها لكثرة التشهي وميل النفس لها بل لاستحسانها، وإذا حضرت نال منها نَيْلاً صالحاً فيُعْلَم أنها تعجبه.

(٢) أي من صلاة العصر.

(٣) أي يقرب منها، والمراد به التقبيل والمباشرة من غير جماع.

(٤) الغيرة: بفتح الغين وسكون الياء وفتح الراء من غار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها، والمغيار شديد الغَيْرة، وفلان لا يَغيرُ على أهله. أي لا يَغَار ومعنى الغيرة: تَغَيُّر القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين.

(٥) وفي حديث ابن عباس: أنها أهدت لحفصة عكة فيها عسل من الطائف، فسقت النبي ﷺ منه شربة، وفي رواية عنه: أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش، وهو الراجح كما جاء في كتاب التفسير.
والعكة بضم العين: وعاء جلدي مستدير يختص بالعسل أو السمن.

أَمَا وَاللَّه لَنَحْتَالَنَّ[١] لَهُ. فَقُلْتُ لسَوْدَةَ بنْت زَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدْنُو منْك، فَإِذَا دَنَا منْك فَقُولي: أَكَلْتَ مَغَافيرَ؟ [٢] فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَك لا. فَقُولي لَهُ: مَا هَذه الرِّيحُ الَّتي أَجدُ منْكَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَك: سَقَتْني حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَل، فَقُولي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ[٣]، وَسَأَقُولُ ذَلك، وَقُولي أَنْت يَا صَفيَّةُ ذَاك. قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللَّه مَا هُوَ إلا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَاب، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَاديَهُ بمَا أَمَرْتني به فَرَقًا[٤] منْك، فَلَمَّا دَنَا منْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَكَلْتَ مَغَافيرَ؟ قَالَ: "لا". قَالَتْ: فَمَا هَذه الرِّيحُ الَّتي أَجدُ منْكَ؟ قَالَ: "سَقَتْني حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَل". فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ. فَلَمَّا دَارَ[٥] إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفيَّةَ قَالَتْ لَهُ مثْلَ ذَلكَ[٦]. فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه أَلا أَسْقيكَ منْهُ؟ قَالَ: "لا حَاجَةَ لي فيه". قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّه لَقَدْ

(١) أي لأجله: قال الكرماني: كيف جاز على أزواج رسول الله ﷺ الاحتيال؟ فأجاب بأنه من مُقْتضيات الغَيْرَة الطبيعية للنساء، وهو صغيرة معفو عنها.

(٢) المغافير: جمع مُغْفُور، قال ابن قتيبة: المغفور: صمغ حلو له رائحة كريهة، وقال الكرماني: نوع من الصمغ يحلب عن بعض الشجر يُحَلُّ بالماء ويُشْرَب وله رائحة كريهة.

(٣) جرست: رَعَتْ، والعُرفُط من شجر العضاه، والعضاه: كل شجر له شوك، وإذا استيكَ به كانت له رائحة حسنة تشبه رائحة طيب النَّدِّ، ويقال هو نبات ذو ورقة عريضة تفترش على الأرض له شوكة حجناء وثمرة بيضاء كالقطن مثل زرالقميص، خبيثة الرائحة، يلحسه النحل، ويأكل منه؛ ليحصل منه العسل، وقيل الشجر الذي صمغه المغافير.

(٤) فرقا منك: أي خوفاً منك، والخطاب لعائشة.

(٥) فلما دار: من الدوران، أي: لما دخل عليها.

(٦) عبر بقوله نحو ذلك في إسناد القول لعائشة، وبقوله مثل ذلك في إسناده لصفية؛ لأن عائشة لما كانت مبتكرة لهذا الأمر عبرت عنه بأي لفظ أرادت، أما صفية فإنها كانت مأمورة بقول ذلك، فليس لها أن تتصرف فيه، لكن وقع في بعض الروايات التعبير بلفظ مثل في الموضعين، فيحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة.

حَرَمْنَاهُ[١]. قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي[٢]. رواه البخاري[٣].

(١) أي منعناه ﷺ من العسل.

(٢) أي قالت عائشة لسودة اسكتي، كأنها خشيت أن يَفْشُوَ ذلك، فيظهر ما دبرته من كيدها لحفصة، وهذا منها على مقتضى طبيعة النساء في الغيرة، وليس بكبيرة، بل صغيرة معفو عنها مكفرة.

(٣) صحيح البخاري كتاب الطلاق باب "لم تحرم ما أحل الله لك" حديث رقم٥٢٦٨.

ويستفاد من القصة:

- أن الغيرة مجبولة في النساء طبعاً، فالغيراء تُعذر فيما يقع منها من الاحتمال في وقع ضرر الضَّرَّة.
- الأخذ بالحزم في الأمور، وترك ما يشتبه الأمر فيه من المباح؛ خشية الوقوع في المحذور.
- بيان علو مرتبة عائشة عند النبي ﷺ، حيث كانت ضَرَّتها تَهابها، وتطيعها في كل شيء تأمرها به، حتى في مثل هذا الأمر مع الزوج الذي هو أرفع الناس قدراً.
- الإشارة إلى ورع سودة لما ظهر منها من التندم على ما فعلت.
- أن عماد القِسْم الليل، وأن النهار يجوز الاجتماع فيه بالجميع، بشرط ترك المجامعة إلا مع صاحبة النوبة.
- الأدب استعمال الكنايات فيما يُستَحْيَى من ذكره، لقولها في الحديث فيدنو منهن، والمراد: التقبيل ونحوه.
- فضيلة العسل والحلواء.
- صبر النبي ﷺ غاية ما يكون ونهاية حلمه وكرمه الواسع.

قال شيخنا الخطيب ﷺ:

وبه استعذ مما يضر وداوين ... باللين والصبر الجميل فراكا[٤]

(٤) الفراك: البغض.

٢٩- أبو هريرة وعمر - رضي الله عنهما-

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: أَصَابَنِي جَهْدٌ[١] شَـدِيدٌ فَلَقِيـتُ عُمَـرَ بْـنَ الْخَطَّاب، فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كتَاب اللَّه عز وجل[٢]، فَـدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَـا عَلَيَّ[٣]، فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعيد، فَخَرَرْتُ[٤] لوَجْهِي منَ الْجَهْد وَالْجُـوع، فَـإِذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَائمٌ عَلَى رَأْسِي، فَقَالَ: "يَا أَبَـا هُرَيْـرَةَ". فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي، وَعَرَفَ الَّذِي بِـي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْله[٥]، فَأَمَرَ لِي بِعُسٍّ[٦] منْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: "عُدْ يَا أَبَا هِرٍّ". فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ: "عُدْ". فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ حَتَّـى اسْـتَوَى بَطْنِي[٧] فَصَارَ كَالْقِدْحِ[٨]. قَالَ: فَلَقِيتُ عُمَرَ وَذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِي، وَقُلْتُ لَهُ: فَوَلَّى اللَّهُ ذَلِكَ[٩] مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَـا عُمَـرُ، وَاللَّـهِ لَقَـدْ

---

(١) الجهد: بالضم الوُسْع والطاقة، وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية، والمراد بـه هنـا الجوع الشديد.

(٢) أي سألته أن يقرأ عليّ آية معينة على سبيل الاستفادة من كتاب الله.

(٣) أي قرأ الآية عليّ وفهّمني إياها، وفي الحلية لأبي نُعيم: أن الآية المذكورة في سورة آل عمران، وفيه فقلت: "أقرَأْتَنِي وأنا لا أريد القراءة وإنما أريد الإطعـام "فلـم يفطن عمر لمراده.

(٤) خررت: سقطت من خرّ إذا سقط من عُلْوٍ.

(٥) الرحل: منزل الإنسان ومسكنه، يقال انتهينا إلى رحالنا أي منازلنا.

(٦) العُسُّ: بضم العين وتشديد السين القدح الكبير.

(٧) استوى بطني: استقام لامتلائه من اللبن.

(٨) القِدْح: هو السهم الذي لا ريش له.

(٩) أي من إشباعي ودفع الجوع عني من كان أحق به منك يا عمر وهو رسول الله ﷺ.

اسْتَقْرَأْتُكَ الآيَةَ وَلأنَا أَقْرَأُ لَهَا مِنْكَ(١). قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لأنْ أَكُونَ أَدْخَلْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ حُمْرِ النَّعَمِ(٢). رواه البخاري(٣). *

---

(١) ولأنا أقرأ لها منك: قال العيني: إنما قال ذلك عتاباً على عمر، حيث لم يفطن حاله، ولم يكن قصده الاستقراء، بل كان قصده أن يطعمه شيئاً، ويوضح ذلك ما روي عن أبي هريرة أنه قال: والله ما استقرأته الآية وأنا أقرأ بها منه إلا طمعاً في أن يُذْهِبَ بي ويُطْعِمَنِي.

(٢) أراد به: أن ضيافتك كانت عندي أحبَّ إليّ من حمر النعم، وعبر بذلك لأن الإبل كانت أشرف أموالهم، وللحمر منها فضل على غيرها من أنواعها، وهذا حث من عمر ﷺ على فعل الخير والمواساة.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب قوله ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ حديث رقم٥٣٧٥.

ومن فوائد الحديث:

- التعريض بالمسألة والاستحياء.
- إباحة الشّبع عند الجوع.
- ما كان عليه السلف الصالح من الصبر على القلة، وشظف العيش، والرضا باليسير من الدنيا.
- كان من عادات السلف إذا استقرأ أحدهم صاحب القرآن يحمله إلى بيته ويطعمه ما تيسر عنده، ويُحمل ما وقع من عمر أنه كان له شغل عاقه، أو لم يكن عنده ما يطعمه.
- وفيه كرم النبي ﷺ وإيثاره على نفسه، وأهله، وحسن خلقه، وعظيم فراسته.
- التأسف على فوات الخير.
- جواز ذكر ما حدث للفطنة إليه فيما بعد.

٣٠- معجزته ﷺ في دَيْن جابر

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ[١]، وَكَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي إِلَى الْجُدَادِ[٢]، وَكَانَتْ لِجَابِرٍ الأَرْضُ الَّتِي بِطَرِيقِ رُومَةَ[٣] فَجَلَسَتْ، فَخَلا عَامًا[٤] فَجَاءَنِي الْيَهُودِيُّ عِنْدَ الْجَدَادِ، وَلَمْ أَجُدَّ مِنْهَا شَيْئًا، فَجَعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ إِلَى قَابِلٍ[٥] فَيَأْبَى، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: "امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنَ الْيَهُودِيِّ" فَجَاءُونِي فِي نَخْلِي، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُ الْيَهُودِيَّ فَيَقُولُ: أَبَا الْقَاسِمِ لا أُنْظِرُهُ. فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ قَامَ فَطَافَ فِي النَّخْلِ، ثُمَّ جَاءَهُ فَكَلَّمَهُ، فَأَبَى، فَقُمْتُ فَجِئْتُ بِقَلِيلِ رُطَبٍ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ: "أَيْنَ عَرِيشُكَ[٦] يَا جَابِرُ"؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: "افْرُشْ لِي فِيهِ". فَفَرَشْتُهُ، فَدَخَلَ فَرَقَدَ،

---

(١) قال ابن حجر في الفتح: لم أقف على اسمه، وقال في المقدمة لم أعرف اسمه، ويحتمل أن يكون هو أبو الشحم.

(٢) الْجُدَاد: زمن قطع ثمر النخل وهو: الصرام، قال ابن الأثير: الصرام قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة، يقال: هذا وقت الصرام والجذاذ.

(٣) قوله وكانت لجابر: فيه التفات من الحضور إلى الغيبة، وكان القياس أن يقال: وكانت لي الأرض التي بطريق رومة، وهي البئر التي اشتراها عثمان ﷺ، وسبلها في نفس المدينة، وقيل أن رومة: رجل من بني غفار كانت له البئر قبل أن يشتريها عثمان فنسبت إليه.

(٤) فجَلَسَت: أي تأخرَتْ أرضُ رُومة عن الإثمار، قال السندي: فجلسَتْ بلفظ الغيبة، أي: تأخَّرت، وفي نسخة بلفظ المتكلم، أي: فتأخرتُ أنا عن قضائه. وقوله فخلا: بتشديد اللام من التخلية وبتخفيفها من الخلو، أي: فتأخر السلف، أو مضى إلى عام ثان.

(٥) استنظر: طلب الانتظار إلى العام القادم .

(٦) أين عريشك: أي: أين المكان الذي اتخذته في بستانك؛ لتستظل به، وتَقيلَ فيه.

ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَجِئْتُهُ بِقَبْضَةٍ أُخْرَى فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ، فَأَبَى عَلَيْه، فَقَامَ فِي الرِّطَابِ فِي النَّخْلِ(١) الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا جَابِرُ جُدَّ وَاقْضِ(٢)". فَوَقَفَ فِي الْجُدَادِ فَجَدَدْتُ مِنْهَا مَا قَضَيْتُهُ وَفَضَلَ مِنْهُ(٣)، فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَشَّرْتُهُ فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ(٤)". رواه البخاري(٥).

---

(١) الرطاب: جمع رطب وفي النخل بيان لذلك أي في رطب النخل.

(٢) قوله جد: أي اقطع، واقض: أمر من القضاء، أي: اقض الدين الذي عليك، يعني أوفه لليهودي.

(٣) أي الدَّيْن، وفي رواية: وفضل منه.

(٤) إنما قال ذلك ﷺ؛ لما فيه من خرق العادة الظاهرة من إيفاء الكثير من القليل، الذي لم يكن يُظن به أن يوفي منه البعض، فضلاً عن الكل، فضلاً عن أن يفضل فضله، فضلاً عن أن يفضل قدر الذي كان عليه من الدين.

(٥) صحيح البخاري كتاب الأطعمة (باب الرطب والتمر) حديث رقم٥٤٤٣

- والحديث دليل من أدلة النبوة، وعلم من أعلامها، حيث قضى بالقليل الذي لم يكن يفي بدينه تمام الدين وفضل منه مثله.
- الشفاعة في انتظار الواجد غير العين التي استحقت عليه؛ ليكون أرفق به.
- أنهم كانوا لا يخلون من دين لقلة الشيء إذ ذاك عندهم ، وأن الاستعاذة من الدَّين أريد بها الكثير منه أو ما لا يجد له وفاءً ، ومن ثم مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة على شعير أخذه لأهله.
- وفيه زيارة النبي ﷺ أصحابه ودخول البساتين، والقيلولة فيها، والاستظلال بظلالها.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين :

وجابر إذ يوفي دين والده ... تمراً وخاف الأذى من دائن هكم
دعاك كي لايرى فحش الغريم ... وهل مثل اليهودي في لؤم وفي قزم
لو أن أضعاف تمر عنده لغدا ... دون الذي يقتضيه مقتضى السَّلم
وإذ دعوت بيمن في بيادره ... وفاه شطراً وأبقى الشطر للسُّهم

٣١- قصة الحجاب

عن أَنَس ﷺ، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ، بِالْحِجَابِ(١) – كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْب يَسْأَلُنِي عَنْهُ– أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرُوسًا(٢) بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِالْمَدِينَةِ، فَدَعَا النَّاسَ لِلطَّعَامِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسَ مَعَهُ رِجَالٌ بَعْدَ مَا قَامَ الْقَوْمُ(٣)، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَشَى وَمَشَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى بَلَغَ بَابَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجَعْتُ مَعَهُ(٤)، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ مَكَانَهُمْ، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ بَابَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ قَامُوا، فَضَرَبَ(٥) بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِتْرًا، وَأُنْزِلَ الْحِجَابُ(٦). رواه البخاري(٧).

---

(١) أي سبب نزول آيته.

(٢) العَروس وصف يستوي فيه الرجل والمرأة، والعُروس مدة بناء الرجل بالمرأة.

(٣) أي وأكلوا من الطعام.

(٤) إلى مترله.

(٥) عليه الصلاة والسلام.

(٦) أي آيته وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ.... إلى آخر الآية﴾ ٥٣/ الأحزاب.

(٧) صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب قوله "فإذا طعمتم فانتشروا" حديث رقم ٥٤٦٦.

وفي الحديث:

- مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين وشدة حياء رسول الله ﷺ . قال ابن بطال: لا ينبغي لأحد أن يدخل بيت غيره إلاّ بإذنه، وأن المأذون له لا يطيل الجلوس بعد تمام ما أُذن له فيه؛ لئلا يؤذي أصحاب المترل، ويمنعهم من التصرف في حوائجهم.
- وفيه أن من فعل ذلك حتى تضرر به صاحب المترل، فلصاحب المترل أن يظهر التثاقل به، وأن يقوم بغير إذن حتى يتفطن له.
- وأن صاحب المترل إذا خرج من مترله لم يكن للمأذون له في الدخول أن يقيم إلاّ بإذن جديد والله أعلم.

٣٢- إنه يحب الله ورسوله

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً، عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّه ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حمَارًا(١)، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ(٢)، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ في الشَّرَاب(٣)، فَأُتيَ به يَوْمًا(٤) فَأَمَرَ به فَجُلدَ، فَقَالَ رَجُلٌ منَ الْقَوْمِ(٥): اللَّهُمَّ الْعَنْهُ،مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى به(٦)! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّه مَا عَلمْتُ(٧) إلا أَنَّهُ يُحبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ".(٨) رواه البخاري.(٩)

---

(١) لعله كان لا يكره ذلك اللقب وكان قد اشتهر به، وجَوَّز ابن عبد البر أنه ابن النعيمان المبهم في حديث عقبة بن الحارث.

(٢) يضحك:بضم الياء من الإضحاك، أي يقول بحضرته أو يفعل ما يضحك منه النبي صلى الله عليه وسلم.قال الكرماني: وكان يهدى إلي النبى صلى الله عليه وسلم العُكَّة من السمن،والعُكَّة من العسل،فإذا جاء صاحبها يتقاضاه جاء به،وقال:يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه،فما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر به فيُعْطَى ثمنه .

(٣) أى بسبب الشراب المسكر.

(٤) وفى رواية " وكان قد أتى به في الخمر مرارا "

(٥) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكذا وقع في رواية الواقدى أيضا " لا تفعل يا عمر فإنه يحب الله ورسوله " .

(٦) فيه دلالة على تَكَرُّرِه منه وفى رواية معمر " ما أكثر ما يشرب وما أكثر ما يُجْلَدُ"

(٧) ما علمت: ما نافية،أى لم أعلم منه.

(٨) إلا أنه يحب الله ورسوله:بفتح همزة أنه، وقيل بكسرها، وفى نسخة: ما علمت أنه يحب الله ورسوله، وما موصولة وإنه بكسر الهمزة مبتدأ وقيل بفتحها وهو مفعول علمت بمعنى عرفت وأنه خبر الموصول، أي: الذي عرفت منه أنه يحب الله ورسوله.

(٩) صحيح البخاري (كتاب الحدود) حديث رقم ٦٧٨٠ .

ويستفاد من القصة :

- الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر؛ لثبوت النهي عن لعنه والأمر بالدعاء له.
- جواز التلقيب، وهو محمول هنا على أنه كان لا يكره،أو أنه ذُكر به على سبيل التعريف؛ لكثرة من كان يسمي بعبد الله،أو أنه لما تكرر منه الإقدام على الفعل المذكور نسب إلي البلادة، فأُطلق عليه اسم من يتصف بها؛ ليرتدع بذلك.
- أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب؛ لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع ما يصدر منه.
- جواز إضحاك الإمام والعالم بنادرة من الحق لا من الباطل.
- أن نفى الإيمان عن شارب الخمر لا يراد به زواله بالكلية، بل نفى كماله.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان الخمر ومضارها:

والخمرَ دعه فإنه رجس ومِنْ ... عمل الرجيم ألدِّ من عاداكا
أم الخبائث كم لها جرَّت وكم ... جرت عليك الجالباتِ رَدَاكا
صدتك عن ذكر الإله وخوفِهِ ... وعن الصلاة وأكثرَتْ أعداكا
يا من حسا خمرًا يريد دواءه ... أَقْصِر فإن الخمر أعظم داكا
كم أفسدَتْ كبدًا وآذت كُلْيَةً ... وتآكلت من نارها أحشاكا
كم أذهبت من نخوة وتألمت ... إذ أذهبت للباه منك نساكا
كم أعقَمَتْ كم أسقمت كم أسلمت ... أبناك ظالمةً لهم أدواكا
كم أغضبت ربًّا وأفنت ثروة ... كم هَزَأتْكَ وأذهَبَتْ لُبهاكا
لا وزن للإنسان إلا بالنهى ... فإذا فقدتَ نُهاك حُقَّ تواكا
ولقد تُطَلِّق دون وعي زوجة ... فيكون أبناءَ الزنا أبناكا
وإذا عملت الخير لا يصعَدْ له ... وإذا دعوت فلا يُجيب دعاكا
ولقد تموت وأنت غيرُ مُوَحِّدِ ... فاحذر وقانا اللهُ ثُمَّ وقاكا

وإذا لها أدمنــت كنــت كعابــد وثَنًا أما تخشــى بــه الإشــراكا؟
وحُرِمْتَ خَمْرَةَ جنة وسُقِيتَ مــن طين الْخَبَال عصير أهــل لظاكــا
كَمْ تَرْحَةٍ جَلَبَتْ ، وكم من فرحة سلبت وكم آذت جميــع قواكــا
لا تَدَّعِي جلب السرور بهــا فمــا خُيِّلْتَــهُ إلا لفقــد حجاكــا
وإذا ادَّعيت وكان عقلك ذاهبًــا فالْمَيْنُ كل الْمَيْنِ في دعواكــا[1]

(١) المين هو الكذب .

٣٣- تأويل أبى بكر للمنام الذي رآه الصحابي رضي الله عنهما

عن ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِي اللَّهم عنهما-أنه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ(١) فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ(٢) السَّمْنَ وَالْعَسَلَ ،فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ منْهَا(٣) فَالْمُسْتَكْثرُ وَالْمُسْتَقلُّ(٤)، وَإِذَا سَبَبٌ(٥) وَاصلٌ منَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ به فَعَلَوْتَ(٦)، ثُمَّ أَخَذَ به رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ به، ثُمَّ أَخَذَ به رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ به، ثُمَّ أَخَذَ به رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّه بِأَبِي أَنْتَ، وَاللَّه لَتَدَعَنِّي(٧) فَأَعْبُرَهَا(٨).

---

(١) وعند مسلم عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فيما يقول لأصحابه: من رأي منكم رؤيا فليقصها أعبرها، فجاء رجل فقال.....إلخ الحديث

(٢) ظلة: بضم الظاء أي سحابة لها ظلة وكل ما أظل من سقيفة ونحوها يسمي ظلة، قال الخطابي،وقال ابن فارس : الظلة أول شيء يظل،وقوله وتنطف السمن والعسل : أي تقطر،قال أبن الأثير: أي تشبه السحابة يقطر منها السمن والعسل.

(٣) يتكففون : أي يأخذون بأكفهم،وفى رواية ابن وهب بأيديهم، وقال الخليل: تكفف بسط كفه ليأخذ،وقال القرطبي :يحتمل أن يكون معنى "يتكففون" يأخذون كفايتهم.

(٤) قوله : "فالمستكثر والمستقل" أي الآخذ كثيراً والآخذ قليلا، وفي رواية عند أحمد: "فمن بين مستكثر ومستقل" وقال الزبيدي : يعني أن حلاوته تتفاوت بكثرة تلاوته وقلتها.

(٥) أى حبل.

(٦) فعلوت : من العلو، وفي رواية سليمان بن كثير "فأعلاك الله" .

(٧) لتدعني : أي لتتركني وفي رواية سليمان إئذن لي.

(٨) أعبرها: أصله من العبر، وهو التجاوز من حال إلي حال، والاعتبار، والعبرة الحالة التي يُتوصل بها من معرفة المشاهد إلي ما ليس بمشاهد ، ويقال عبر الرؤيا بالتخفيف إذا فسرها.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "اعْبُرْ". قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلامُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، حَلاوَتُهُ تَنْطُفُ، فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ. وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ. ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ(١) فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ(٢)، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ(٣) ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ(٤) فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا"(٥)

---

(١) أي ثم يأخذ بالحبل رجل وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويقوم بالحق في أمته.

(٢) قال العيني:هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) وفي نسخة أسقط له، قال الزبيدي:يعني أن عثمان بن عفان ﷺ كاد ينقطع عن اللحاق بالنبي ﷺ وصاحبيه بسبب ما وقع له من تلك القضايا التي أنكروها عليه، فعبرها بانقطاع الحبل ثم وقعت له الشهادة، فاتصل، فالتحق بهم.

(٥) قال العيني:أما الذي أصاب فهو تعبير أن تكون الظلة نعمة الإسلام إلى قوله: ثم يوصل له فيعلو به، وأما الذي أخطأ فاختلفوا فيه فقال المهلب: موضع الخطأ في قوله: ثم يوصل له،والخطأ فيه، حيث زاد "له" والوصل لغيره، وكان ينبغي له أن يقف حيث وقفت الرؤيا ويقول: ثم يوصل على نص الرؤيا، ولا يذكر الموصول له.
وقال الإسماعيلي:الخطأ هو أن الرجل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤياه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحق بتعبيرها من غيره،فلما طلب أبو بكر تعبيرها كان ذلك خطأ،وتعقبه النووي تبعًا لغيره فقال: هذا فاسد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قد أذن له في ذلك فقال له اعبر،قيل: فيه نظر لأنه لم يأذن له ابتداء، بل بادر هو فسأل أن يأذن له في تعبيرها فأذن له، فقال: أخطأت في مبادرتك للسؤال بأن تتولى تعبيرها، لا لأنك أخطأت في تعبيرك.
وقيل أخطأ في تفسيره لها بحضرة النبي ﷺ، ولو كان الخطأ في التعبير لم يقره عليه.
وقال الطحاوي:الخطأ لكون المذكور في الرؤيا شيئين: العسل والسمن، ففسرها

قَالَ: فَوَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ قَالَ: " لا تُقْسِمْ "(١)
رواه البخاري.(٢)

بشيء واحد، وكان ينبغي أن يفسرهما بالقرآن والسنة،وقيل المراد بقوله أخطأت وأصبت أن تعبير الرؤيا مرجعه الظن، والظان يخطئ ويصيب.

وقال ابن الجوزي:وسألت بعض الشيوخ العارفين عن تعيين الوجه الذي أخطأ فيه أبو بكر فقال:من الذي يعرف! (ولئن كان تقدم أبي بكر بين يدي النبي ﷺ للتعبير خطأ،فالتقدم بين يدي أبي بكر لتعيين خطئه أعظم وأعظم، فالذي يقتضيه الدين والحزم الكف عن ذلك).

(١) قوله ﷺ :" لا تقسم " أي لا تكرر يمينك فإني لا أخبرك ، وإلا فهو قد أقسم، أو هو لوم علي ما وقع منه من القسم أي لا ينبغي لك ذلك.

قال النووي : قال العلماء إنما لم يبر النبي ﷺ قسم أبي بكر، لأن إبرار القسم مخصوص بما إذا لم يكن هناك مفسدة ولا مشقة ظاهرة، ولعل المفسدة في ذلك ما علمه من انقطاع السبب بعثمان ﷺ وهو قتله ، وكذلك الحروب والفتن المروية، فكره ذكرها خوف شيوعها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يُصب حديث رقم ٧٠٤٦ .

وفي القصة من الفوائد :

- جواز فتوي المفضول بحضرة الفاضل إذا كان مشاراً إليه بالعلم والإمامة.
- أن عابرا الرؤية قد يصيب وقد يخطئ.
- لا يستحب إبرار القسم إذا كان فيه مفسدة.
- وفي السؤال من أبي بكر أولا وآخراً وجواب النبي ﷺ دلالة علي انبساط أبي بكر معه.

٣٤- الملائكة الذين جاءوا النبي ﷺ وهو نائم

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قال: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ(١) إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ(٢). فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ(٣) هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً(٤) وَبَعَثَ دَاعِيًا(٥)، فَمَنْ أَجَابَ

---

(١) جاء في رواية الترمذي:أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل- عليهما السلام- ولفظه :"خرج علينا النبي ﷺ يوما فقال:إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي" فيحتمل أن يكون مع كل منهما غيره واقتصر في هذه الرواية علي من باشر الكلام منهم ابتداء وجوابا، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي:أن النبي ﷺ توسد فخذه فرقد وكان إذا نام نفخ، قال: فبينما أنا قاعد إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم بما بهم من الجمال،فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺوطائفة منهم عند رجليه.

(٢) قال الرامهرمزي: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره،يقال رجل يقظ إذا كان ذكى القلب.
وقال بعضهم:هو بيان وتحقيق علي أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف الحواس، واستراحة الأبدان.

(٣) إن لصاحبكم:أي لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم .

(٤) مأدبة:بسكون الهمزة وضم الدال، وحكى فتح الدال،وقال ابن التين عن أبي عبد الملك: الضم والفتح لغتان صحيحتان، قال أبو موسى الحامض: من قال بالضم أراد الوليمة ، ومن قال بالفتح أراد به أدب الله الذي أدب به عباده، ويتعين الضم هنا.

(٥) أي يدعو الناس إليها.

الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ. فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ[1] يَفْقَهْهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ[2]، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ[3]، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقٌ[4] بَيْنَ

---

(١) أولوها: أي فسروا الحكاية، أو التمثيل من أوَّل تأويلا إذا فسر بما يؤول إليه الشيء، والتأويل في اصطلاح العلماء:تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالا غير بيِّن، قال ابن حجر : قيل يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتُمد عليه،قال ابن بطال قوله "أولوها" يدل علي أن الرؤيا على ما عبرت في النوم،قال ابن حجر:وفيه نظر؛ لاحتمال الاختصاص بهذه القصة لكون الرائي النبي صلى الله عليه وسلم والمرئي الملائكة، فلا يظهر ذلك في حق غيرهم.

(٢) أى الممثل بها ، وفى رواية ابن مسعود وعند أحمد"وأما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام ،والطعام الجنة، ومحمد الداعي" فمن اتبعه كان في الجنة.

(٣) أى لأنه رسول صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة وهو كناية عن دخول الجنة ، ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ولفظه " وأنت يا محمد رسول الله فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل مما فيها "

(٤) قوله "فَرَّق" بتشديد الراء أي مَيَّز، وفي نسخة فَرْقٌ بسكون الراء علي المصدر وصف به للمبالغة ، أو بمعني اسم الفاعل أي فارق.

قال الكرماني : ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد، بل تشبيه المركب بالمركب مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين كقوله تعالي " إنما مثل الحياة الدنيا كماء" (سورة يونس آية ٢٤) ، قال ابن حجر : وقد وقع

النَّاسِ.رواه البخاري.[1]

في غير هذا الطريق ما يدل علي المطابقة المذكورة. زاد قي حديث ابن مسعود : فلما استيقظ قال : سمعتَ ما قال هؤلاء هل تدري من هم ؟ قلت الله ورسـوله أعلم قال هم الملائكة والمثل الذي ضربوا (الرحمن بني الجنة ودعا إليها عباده).

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة حديث رقم ٧٢٨١

وفي الحديث :

- إيقاظ السامعين من رقدة الغفلة.
- حث علي الاعتصام بالكتاب والسنة والإعراض عما يخالفها.

٣٥- سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "كَلِمَتَانِ[١] حَبِيبَتَانِ[٢] إِلَى الرَّحْمَنِ[٣]، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ[٤] سُبْحَانَ اللَّهِ[٥]

---

(١) كلمتان:خبر مقدم للتشويق، أي: كلامان فهو من باب إطلاق الكلمة علي الكلام ككلمة الإخلاص، وكلمة الشهادة،والمبتدأ سبحان الله الخ الحديث.

(٢) حبيبتان:أي محبوبتان، والمراد محبوبية قائلهما، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم.

(٣) تخصيص لفظ الرحمن من بين سائر الأسماء الحسني؛ لأن القصد من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالي علي عباده حيث يجازي علي الفعل القليل بالثواب الكثير،وقال الزبيدي:وخص اسم الرحمن دون غيره من الأسماء الحسنى؛ لأن كل اسم منها إنما يذكر في المكان اللائق به، كقوله تعالى:"استغفروا ربكم إنه كان غفارا"، وكذلك هنا لما كان جزاء من يسبح بحمده تعالى الرحمة ذكر في سياقها الاسم المناسب لذلك، وهو الرحمن.

(٤) وصفهما بالخفة والثقل، لبيان قلة العمل وكثرة الثواب،وقال الطيبي:الخفة مستعارة للسهولة، وشبه سهولة جريانها علي اللسان بما خف علي الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشيء الثقيل،وفيه إشارة إلي أن سائر التكاليف صعبة شاقة علي النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان كثقل الشاق من التكاليف،وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة، وخفة السيئة،فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها، وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك ثقلها علي تركها،والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا تحملنك خفتها علي ارتكابها.

(٥) قوله"سبحان" مصدر لازم النصب بإضمار الفعل،وقال الزمخشري:سبحان عَلَمٌ للتسبيح،قيل سبحان واجب الإضافة،فكيف الجمع بين الإضافة والعَلَمية؟أجيب بأنه يُنَكَّر ثم يضاف، ومعني التسبيح:التتريه:يعني أنزِّه الله عما لا يليق به.

وَبِحَمْدِهِ[١]، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ[٢] ".

---

(١) قوله"وبحمده" قيل الواو للحال والتقدير: أسبح الله متلبسا بحمدي له من أجل توفيقه لي بالتسبيح، وقيل الواو عاطفة، والتقدير:أسبح الله وأتلبس بحمده،والحمد هو الثناء بالجميل علي وجه التفضيل.
والباء للملابسة،والحمد مضاف للمفعول، وقيل الباء للاستعانة، والحمد مضاف للفاعل، أي أسبحه بما حمد به نفسه،وقيل الباء للسببية أي أسبح الله وأثنى عليه بحمده.

(٢) قال الزبيدي:وختم بسبحان الله العظيم ليجمع بين مقامي الرجاء والخوف، إذ معني الرحمن يرجع إلي الإنعام والإحسان فيقتضي الرجاء،والعظيم يقتضي الخوف من هيبته تعالى،وفي رواية بتقديم سبحان الله وبحمده.
قال ابن بطال:هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام، فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر علي ما شاءه من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه علي لسانه ليس معه تقوي ولا عمل صالح.
وقال الكرماني:صفات الله وجودية: كالعلم، والقدرة، وهي صفات الإكرام،وعدمية: كلا شريك له ولا مثيل له،وهي صفات الجلال،فالتسبيح إشارة إلي صفات الجلال،والتحميد إشارة إلي صفات الإكرام، وترك التقييد مشعر بالتعميم، والمعني: أنزهه عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات.
والنظم الطبيعي يقتضي تقديم التحلية علي التخلية، فقدم التسبيح الدال علي التخلي على التحميد الدال علي التحلي، وقدم لفظ الله لأنه اسم الذات المقدسة الجامع لجميع الصفات والأسماء الحسنى،ووصفه بالعظيم لأنه الشامل لسلب ما لا يليق به وإثبات ما يليق به، إذ العظمة الكاملة مستلزمة، لعدم النظير والمثيل، ونحو ذلك...وذكر التسبيح متلبسا بالحمد؛ ليعلم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا، وكرره تأكيدا لأن الاعتناء بشأن التنزيه أكثر من جهة كثرة المخالفين؛ ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة نحو: سبحان،وسبِّح بلفظ الأمر،وسبَّح بلفظ

رواه البخاري.[١]

الماضي،ويسبح بلفظ المضارع، ولأن التتريهات تُدْرك بالعقل بخلاف الكمالات فإنها تقتصر عن إدراك حقائقها كما قال بعض المحققين: الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السلب كما في العلم لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل،وأما معرفة حقيقة علمه فلا سبيل إليه.

(١) فتح الباري كتاب التوحيد حديث رقم ٧٥٦٣ .

وفي الحديث:

- من علم البديع المقابلة والموازنة في السجع، لأنه قابل الخفة علي اللسان بالثقل في الميزان،وقال حبيبتان إلي الرحمن، و لم يقل إلي الرحيم؛ لأجل الموازنة بقوله علي اللسان.
- من علم البيان الاستعارة في قوله خفيفتان حيث شبه سهولة جريانها علي اللسان بخفة المحمول من الأمتعة، واشتق من ذلك خفيفتان بمعنى سهلتا الجري علي اللسان لقلة حروفهما، ورشاقتهما .
- فيه حث علي المواظبة عليهما، وإشارة إلي أن سائر التكاليف صعبة شاقة علي النفوس، وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان.

٣٦- مساءلة جبريل للنبي ﷺ

عن عُمَرَ بْنِ الْخطَّاب ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ(١) عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ ذَاتَ(٢) يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ(٣) شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ(٤) وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ(٥) حَتَّى جَلَسَ إِلَى(٦) النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ(٧) وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ(٨) أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

---

(١) بينما نحن:أصلها بين نحن فـ (ما):زيدت للتوكيد .

(٢) ذات:مبتدأ خبره عند رسول الله ﷺ وذات هنا تفيد النكرة أى في يوم من الأيام،وتستعمل في اللغة علي وجوه متكررة تارة تكون بمعني النكرة الدالة علي العموم وهذا أغلب ما تستعمل فيه، وتستعمل بمعني صاحبة مثل ذات النطاقين،أى صاحبة النطاقين،وتستعمل اسما موصولا في لغة طيء وهم قوم من العرب يستعملون ذات بمعني التي كما قال ابن مالك : (وكالتي أيضا لديهم ذات).يقول مثلا بعت عليك داري ذات: أي التي اشتريت.

(٣) هو رجل في شكله لكن في حقيقته أنه ملك.

(٤) لأن ثيابه بيضاء،وشعره أسود ليس عليه غبار ولا شعث السفر،إذ المسافر يري عليه اثر السفر، فيكون أشعث مغبّرا، وتكون ثيابه غير ثياب الحضر، لكن هذا لا يُري عليه أثر السفر.

(٥) أي ليس من أهل المدينة المعروفين.

(٦) قال إلي النبى ﷺ و لم يقل عند؛ ليفيد الغاية، أي أن جلوسه كان ملاصقا للنبي ﷺ.

(٧) ووضع كفيه علي فخذيه:معناه.أن الرجل الداخل وضع كفيه علي فخذي نفسه، وليس علي فخذي النبي ﷺ وهذا من شدة الاحترام.

(٨) قال: يا محمد (ﷺ) و لم يقل يا رسول الله؛ لُيوهم أنه أعرابي؛ لأن الأعراب ينادون النبى ﷺ باسمه العَلَم،أما أهل الحضر فينادونه بوصف النبوة أو الرسالة عليه الصلاة والسلام.

رَسُولُ اللَّه[١]، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ[٢]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:" أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[٣]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ

---

(١) لماذا جعل هذا ركنا واحدا؟الجواب:أن الشهادة بهذا تنبني عليها صحة الأعمال كلها، لأن شهادة أن لا إله إلا الله تستوجب الإخلاص، وشهادة أن محمداً رسول الله تستوجب الاتباع وكل ما يُتقرب به إلي الله لا يُقبل إلا بالإخلاص لله،والمتابعة لرسول الله ﷺ.ومعني تشهد أي تقر وتعترف بلسانك، وقلبك، فلا يكفي اللسان وحده،بل لا بد من اللسان والقلب معا،قال تعالى:﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف آيه ٨٦).

(٢) وجه العجب أن السائل عادة يكون جاهلا والمصدق يكون عالما، فكيف يجتمع هذا وهذا؟ قال النووي:سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل، إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي ﷺ.

(٣) قال النووي: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأنا لو قدَّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا بما يقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه علي الاعتناء بتتميمها علي أحسن وجوهها إلا أتي به،فقال صلى الله عليه وسلم " اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يُقدم العبد علي تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه،فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في تمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته؟.

السَّاعَة[١]. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِل[٢]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا[٣] قَالَ:" أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[٤] وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَان[٥] ". قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا[٦] ثُمَّ قَالَ لِي:" يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ"؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:" فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُم

---

(١) الساعة:القيامة، وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء،وسميت ساعة لأنها داهية عظيمة قال الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (آيه رقم ١ من سورة الحج).

(٢) ما المسؤل عنها:يعني نفسه،بأعلم من السائل:يعني جبريل عليه السلام،والمعني إذا كنت تجهلها فأنا أجهلها ولا أستطيع أن أخبرك بها، لأن علم الساعة مما اختُص به الله عز وجل قال تعالى:﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ .ولهذا يجب علينا أن نكذب من حدد عمر الدنيا في المستقبل.

(٣) الأمارة:بفتح الهمزة أي العلامة.

(٤) وفى رواية ربها،ومعني ربها وربتها سيدها ومالكها،وسيدها ومالكتها،قال الأكثرون من العلماء: هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن،فإن ولدها من سيدها بمترلة سيدها.وقال الخطابي:معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله علي بلاد الشرك وسبي ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمترلة ربها لأنه سيدها.

(٥) الحفاة:الذين ليس لهم نعال،عراة:أي ليس لهم ثياب تكسوهم وتكفيهم،العالة:الفقراء،قال النووي معناه:أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تُبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان.

(٦) مَلِيًّا:أي وقتا طويلا.

يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ "[١] .متفق عليه.[٢] وزيد في رواية: "في خمس لا يعلمهن إلا الله".ثم تلا النبي ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾". قال: ثم أدبر، فقال رسول الله ﷺ:"رُدُّوه". فلم يَرَوْا شيئا. فقال رسول الله ﷺ :"هذا جبريل جاء يُعَلِّم الناسَ دينَهم"[٣]

---

(١) فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمي كلها دينا.

(٢) صحيح البخاري،باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان حديث رقم٥٠ ، وصحيح مسلم كتاب الإيمان.

(٣) شرح النووي علي صحيح مسلم جـ١ .

ومن فوائد الحديث:

- انه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلي مسألة لا يسألون عنها أن يسال هو عنها؛ ليحصُل الجواب للجميع.
- أنه ينبغي للعالم أن يرفُق بالسائل، ويدنيه منه، ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض.
- أنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله.
- أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم، والمعارف، والآداب، واللطائف، بل هو أصل الإسلام. قال القاضي عياض:هذا الحديث قد اشتمل علي شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة، والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشبعة منه.
- بيان حسن خلق النبي ﷺ ، وأنه يجلس مع أصحابه ويجلسون معه.
- جواز جلوس الأصحاب إلي شيخهم شريطة ألا يكون فيه إضاعة وقت الشيخ.
- الأدب مع المعلم، كما فعل جبريل عليه السلام حيث جلس أمام النبي صلى الله عليه وسلم جلسة المتأدب ليأخذ منه.

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته :

دعـا لمـا تـدعو لـه الأحـلام   وفيـه مـا تصـبو لـه الأنـام
ومـا لمـن لم يـأت بالإسـلام   مـولاه في أخـراه مـن سـلام
أركانـه الشـهادة الصـلاة   والحـج والصـيام والزكـاة

ويقول في نقاية التصوف :

هـذا وإن كامـل الإيمـان   مـن فيـه تمت شـعب الإيمـان
وينقص الإيمـان قـدر النـاقص   فارغب إليـه في اليقين الخـالص
بضـع وسـبعون بإخبـار الخـبر   وهاكها كما ارتضاها ابـن حجـر
مفتاحهـا الإيمـان بالـديان   ونعتـه الـوارد في القـرآن
وكتبـه ورسـله وبالقـدر   والبعث والأملاك عـز مـن قـدر

وَسَلَّمَ وَقَالَ:" آمَنْتُ بِاللَّه وَبِرُسُلِه" ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّــه عَلَيْـه وَسَلَّمَ:" مَاذَا تَرَى ؟ ". قَالَ ابْنُ صَيَّاد: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ لَهُ رَسُــولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:" خُلِّطَ[١] عَلَيْكَ الأَمْرُ". ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:" إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا[٢]" فَقَالَ ابْنُ صَيَّاد:" هُوَ الدُّخُّ[٣]". فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:" اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ[٤]". فَقَــالَ

---

(١) خُلِّط عليك الأمر: معناه خَلَّط عليك شيطانك ما يُلقي إليك من السمع مع مـا يكذب.

(٢) خبأت لك خبيئا: بمعني الشيء الغائب المستور، واختُلف في هذا الْمُخَبَّـأ فقـال القرطبي: الأكثر علي أنه أضمر له في نفسه﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّـبِينٍ﴾ (الدخان آيه١٠) قال الداودي: كان في يده سورة الدخان مكتوبة، وقال الخطابي: لا معني للدخان هنا لأنه ليس مما يخبأ في كف أو كُمّ، بل الدخ نبت موجود بين النخيل والبساتين.

(٣) الدخ: بضم الدال وفتحها: الدخان، وقال ابن قرقول: الدخ لغة في الدخان لم يسـتطع ابن الصياد أن يتم الكلمة، و لم يهتد من الآية الكريمة إلا لهذين الحـرفين علـي عـادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أوليائهم الجن أو من هواجس النفس.

(٤) قوله إخسأ: في الأصل لفظ يُزجر به الكلب ويُطرد، من خسأتُ الكلب خسـأ طردته، وهو خطاب زجر واستهانة، أي اسكت صاغرا مطرودا، وقوله:"فلـن تعدو قدرك" قال ابن الجوزي: يعني لا يبلغ قدرك أن تطالع بالغيب من قِبَل الوحي المخصوص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا من قبل الإلهام الـذي يدركـه الصالحون، وإنما كان الذي قاله من شيء ألقاه الشيطان إليه إما لكون النبي صلي الله عليه وسلم تكلم بذلك بينه وبين نفسه فسمعه الشـيطان، وإما أن يكـون الشيطان سمع ما يجري بينهما من السماء، لأنه إذا قُضـي القضـاء في السـماء تكلمت به الملائكة عليهم الصلاة والسلام، فاسترق الشيطان السـمع، وإما أن

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّه أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنْ يَكُنْهُ(١) فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْله". وزاد مسلم: وانْطَلَقَ بَعْدَ ذَلكَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْب الأَنْصَارِيُّ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّاد حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ النَّخْلَ طَفِقَ(٢) يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ(٣) أَنْ يَسْمَعَ من ابْنِ صَيَّاد شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّاد، فَرَآهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ(٤) لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ(٥)، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّقِي(٦) بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافِ وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّاد: هَذَا مُحَمَّدٌ. فَثَارَ(٧) ابْنُ صَيَّادٍ. فَقَالَ

يكون رسول الله صلي الله عليه وسلم حدث بعض أصحابه بما أضمر، ويدل علي ذلك قول عمر رضي الله عنه وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان آيه ١٠)فالظاهر أنه أعلم الصحابة بما يُخَبَّأ له،وإنما فعل ذلك به صلى الله عليه وسلم ليختبره عن طريقة الكهان، وليتعين للصحابة حاله وكذبه.

(١) أي إن يكن إياه، أي: الدجال، فلن تُسَلَّط عليه،وإن لم يكن هو دجالا فلا خير في قتله.

(٢) طفق: جعل .

(٣) يختل:بكسر التاء أي يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع شيئا من كلامه، ويعلم هو والصحابة حاله في أنه كاهن، أم ساحر، ونحوهما.

٤) القطيفة:كساء له خمل والجمع قطايف.

(٥) زمزمة:صوت خَفِيٌّ لا يكاد يُفهم، أو لا يُفهم.

(٦) قوله وهو يتقي بجذوع النخل:أي يُخفي نفسه بجذوع النخل حتى لا تراه أم ابن صياد.

(٧) ثارأي: نهض من مضجعه وقام.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ[١] " .رواه البخاري ومسلم.[٢]

وعَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه، قَالَ لَقِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَة فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:" أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّه؟". فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّه؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ:" آمَنْتُ بِاللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه، مَا تَرَى؟" قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " تَرَى عَرْشَ إِبْليسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَمَا تَرَى؟ " قَالَ: أَرَى صَادقَيْنِ وَكَاذبًا أَوْ كَاذبَيْنِ وَصَادقًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " لُبِسَ عَلَيْه دَعْوَهُ[٣] ". رواه مسلم.[٤]

---

١) قال العيني:لو تركت أم ابن صياد ابن صياد لبين ابن صياد لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شأنه،قال في التوضيح:ولو وقف عليه من يتفهم كلامه، لبين من قوله ذلك الزمزمة، فيعرف ما يدعي من الكذب.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات حديث رقم ١٣٥٤،١٣٥٥.شرح مسلم للنووي كتاب الفتن حديث رقم٢٩٣١،٢٩٣٣ جـ١٨ ص ٤٣ ، ٤٤.

(٣) لُبس عليه دعوه:أي خلط عليه أمره من توالي الشياطين عليه فاتركوه .

(٤) شرح مسلم للنووي كتاب الفتن حديث رقم٢٩٢٥ جـ١٨ ص ٣٩.

وفي الحديث من الفوائد:

- كشف أحوال من تُخاف مفسدته.
- كشف الإمام الأمور المهمة بنفسه.

٣٨- ابن صياد يدفع عن نفسه أنه الدجال بالأحاديث

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا أَوْ عُمَّارًا وَمَعَنَا ابْنُ صَائد[١] فَنَزَلْنَا مَنْزِلا فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً[٢] شَديدَةً ممَّا يُقَالُ عَلَيْه. قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِه فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي. فَقُلْتُ: إنَّ الْحَرَّ شَديدٌ فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تلْكَ الشَّجَرَةقال: فَفَعَلَ ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ[٣] فَقَالَ: اشْرَبْ أَبَا سَعيد. فَقُلْتُ: إنَّ الْحَرَّ شَديدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ – مَا بِي إلا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَده أَوْ آخُذَ عَنْ يَده – فَقَالَ: يا أَبَا سَعيد لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَة ثُمَّ أَخْتَنِقَ ممَّا يَقُولُ لِيَ النَّاسُ؛ يَا أَبَا سَعيد مَنْ خَفِيَ عَلَيْه حَديثُ رَسُولِ اللَّه ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الأَنْصَار، أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَديث رَسُولِ اللَّه ﷺ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ في الدجال هُوَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : هُوَ عَقيمٌ لا يُولَدُ لَهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدينَة أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فيه : لا يَدْخُلُ الْمَدينَةَ وَلا مَكَّةَ. وَقَدْ أَقْبَلْتُ منَ الْمَدينَة وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟ قَالَ أَبو سَعيد الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذرَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّه إِنِّي لأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الآنَ. قَالَ قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ[٤] سَائِرَ الْيَوْمِ. رواهما مسلم والترمذي[٥].

---

(١) يقال له ابن صائد أو صياد.

(٢) الوحشة:ضد الأنس ، قال الفيومي:الوحشة بين الناس:هي الانقطاع وبُعْد القلوب عن المودّات.

(٣) العُسُّ:القدح الكبير وجمعه عِسَاس ، وأعساس..

(٤) التَّبُّ:الهلاك،يقال تَبَّ يَتب تبا أي هلاكا.

(٥) شرح مسلم للنووي كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث رقم ٢٩٢٧ج ١٨ ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي حديث رقم ٢٢٥١ج ٩.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يمشي فَلَقي ابنَ صائد في بعض طُـرُق المدينة فقال له قَوْلاً أغضبه فانْتَفَخَ حتى ملأ السِّكَّةَ[١] فدخل ابنُ عمـرَ علـي حَفْصَةَ وقد بلغها فقالت له:رحِمَك الله ما أردْتَ من ابنِ صائد أما عَلمْتَ أن رسول الله ﷺ قال:"إنَّما يَخرُجُ من غَضْبَةٍ يَغْضَبُها". وعنه قال:لَقيتُهُ لَقْيَةً أخري وقد نَفَرَتْ عَيْنُه[٢] فقلتُ:متى فَعَلَتْ عَيْنُك ما أري؟ قال: لا أدري، قال: قلت: لا تدري وهيَ في رأسك؟ فقال: إن شاء الله خَلَقها في عصاك هذه. قال:فَنَخَرَ كأشَدِّ نَخير حمار[٣] سَمِعْتُ. قال : فزعم بعضُ أصحابي أنّي ضَرَبْتُهُ بعَصًا كانت معي حتى تَكَسَّرَتْ. وأنا والله ما شعرْتُ ثم دخلْتُ علي أم المؤمنين فَحَـدَّثْتُها فقالت: ما تُريدُ إليه أما تعلم أنه قد قال:إن أوَّلَ ما يَبْعَثُهُ علي الناس غَضَـبٌ يَغْضَبُهُ".رواه مسلم.[٤]

وعَنْ مُحَمَّد بْنِ الْمُنْكَدِرِ: قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْد اللَّه رضي الله عنهما يَحْلفُ باللَّه أَنَّ ابْنَ صَياد هو الدَّجَّالُ فَقُلْتُ: أَتَحْلفُ باللَّه!، قَالَ إِنِّي سَـمعْتُ عُمَرَ يَحْلفُ عَلَى ذَلكَ عنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنْكِـرْهُ[٥]. رواه مسلم[٦].نسأل الله السلامة آمين.

---

(١) السكة:بكسر السين:الطريق وجمعها سكَك،قال أبو عبيد : أصل السكة الطريق الْمُصْطَفَّة من النخل،وسُمِّيت الأزقة سككا لاصطفاف الدور فيها.

(٢) نَفَرَتْ عينه: بفتح النون والفاء أي وَرِمَتْ ونَتَأَتْ.

(٣) النخير: الصوت من الأنف،يقال نَخَرَ يَنْخرُ إذا مَدَّ النَّفَسَ في الخياشيم.

(٤) شرح مسلم للنووي كتاب الفتن حديث رقم ٢٩٣٢ ج ١٨.

(٥) قال النووي:قوله"أن عمر ﷺ حلف بحضرة النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدجال" استدل به جماعة علي جواز اليمين بالظن،وأنه لا يُشترط فيها اليقين.

(٦) شرح مسلم للنووي كتاب الفتن حديث رقم ٢٩٢٩ ج ١٨.

أقوال العلماء في ابن صياد:

قال النووي :أمره مشتبه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك أنه دجال من الدجاجلة ، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره.

قال ابن كثير : المقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعا لحديث فاطمة بنت قيس العَنْبرِيَّة.

قال القرطبي: الصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدليل ما تقدم من أدلة.

قال ابن تيمية: إن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة فظنوه الدجال،وتوقف فيه النبي ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، إنما هو من جنس الكهان من أصحاب الأحوال الشيطانية؛ ولذلك ذهب ليختبره.

قال البيهقي: إن الدجال الأكبر يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم وكان الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم الداري رضي الله عنه.

"ذكر شيخنا رضي الله عنه هذه القصة تحت عنوان(الدجال في جزيرة موثق بالحديد وستأتى قريبا)" وإلا كيف يكون الدجال في أثناء الحياة النبوية شبه محتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله ،وبين أن يكون شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزر البحر موثَقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أم لا؟ .

قال ابن حجر: أقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقا، وأن ابن صياد شيطان تَبدَّى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصفهان فاستتر مع قرينه.

٣٩- في ثقيف كذاب ومبير

عَنْ أَبِي نَوْفَل ﷺ قال: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّه بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما مصلوبا عَلَى عَقَبَة الْمَدينَة فَجعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْه وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْه عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْه فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْب[١]، أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا[٢]، أَمَا وَاللَّه إِنْ كُنْتَ مَا عَلمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولاً للرَّحمِ أَمَا وَاللَّه لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لأُمَّةُ خَيْر. ثُمَّ نَفَذَ[٣] عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقفُ عَبْد اللَّه وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْه فَأُنْزِلَ عَنْ جذْعه فَأُلْقيَ في قُبُورِ الْيَهُود، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّه أَسْمَاءَ بنْت أَبي بَكْر رضي الله عنهما فَأَبَتْ أَنْ تَأْتيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتينِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْك مَنْ يَسْحَبُك بقُرُونك[٤] - قَالَ - فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّه لا آتيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُني بِقُرُوني. قَالَ: فَقَالَ: أَرُوني سِبْتَيَّ[٥]. فَأَخَذَ نَعْلَيْه ثُمَّ انْطَلَقَ

(١) أبو خبيب: كُنية عبد الله بن الزبير كنى بابنه خبيب، وكان أكبر أولاده، وقد ذكر له البخاري في التاريخ ثلاث كُنى: أبو خبيب وأبو بَكّار وأبو بكر.
وقد كان عبد الله بن الزبير بعد موت معاوية، بايعه أهل الحجاز على الخلافة، وبايع أهل الشام والعراق يزيد بن معاوية، فلما قوى أمر يزيد أرسل جيشًا إلى المدينة ومكة وعلى رأسه الحجاج الثَّقفيُّ فغلب عليهم وقتل عبد الله بن الزبير وصلبه على جذع نخلة في طريق الخارج من مكة إلى المدينة.

(٢) أي عن المنازعة الطويلة.

(٣) نفذ:أي انصرف. يقال أنْفذْ أي امض عن مكانك وجُزْهُ.

(٤) يسحبك بقرونك:أي يجرك بضفائر شعرك.

(٥) السِّبْت:بكسر السين وسكون الباء؛ جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ يُتَّخَذ منها النعال، سميت بذلك لأن شعرها قد سُبتَ منها، أي: حُلقَ وأزيل،وقيل لأنها انسبتت بالدباغ أي لانت، وقال النووي في قوله أروني سبْتيَّ: هي النعل التي لا شعر عليها.

يَتوزَّفُ(١) حتّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِني صَنَعْتُ بعَدُوِّ اللَّـه؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْه دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخرَتَكَ، بَلَغَني أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ ذَات النِّطَاقَيْن(٢) أَنَا وَاللَّه ذَاتُ النِّطَاقَيْن: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِه طَعَامَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبي بَكْرٍ منَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخر فنطَاقُ الْمَرْأَة الَّتي لا تَسْتَغْني عَنْهُ، أَمَا إنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ حَدَّثَنَا "أَنَّ في ثَقيف كَذَّابًا وَمُبيرًا". فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ(٣) وَأَمَّا الْمُبيرُ(٤) فَلا إِخَالُكَ إلا إِيَّاهُ . قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا. رواه مسلم والترمذي واللفظ لمسلم.(٥)

---

(١) يتوزف:قال أبو عبيد معناه يسرع،وقال أبو عمر معناه يتبختر.

(٢) النطاق:ما تُشَدُّ المرأة على وسطها فوق الثياب لئلا تَعْثُر في ملابسها، ولئلا تَعُوقها عن العمل.

(٣) هو : المختار بن أبي عبيد الثقفي قد تَنَبَّأ، وتبعه ناس حتى أهلكه الله تعالى .قال النووي كان شديد الكذب، ومن أقبحه أنه ادعى أن جبريل عليه السلام يأتيه.

(٤) المبير: الْمُهْلكُ يُسْرِف في إهلاك الناس، يقال: بارَ الرجل يبور بورا فهو بائر ،وأبار غيره فهو مُبير ،قال الترمذي: المبير:الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنهم أحْصَوْا ما قتلهم صَبْرًا (القتل صبراً: أن يُوثَق ويُقْتل)، فكان عددهم مائة ألف وعشرين ألفا، فما بالك بغيرهم. وأرادت أسماء بقولها هذا إذلال الحجاج وكسر أنفه ، ولذا قام وتركها.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ج٧، تحفة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي رقم ٢٢٢٥ج٩

وفي الحديث من الفوائد:

- استحباب السلام على الميت في قبره وغيره.
- تكرار السلام ثلاثة كما كرر ابن عمر .
- الثناء على الموتى بجميل صفاهم المعروفة.
- فيه منقبةٌ لابن عمر لقوله بالحق في الملأ، وعدم اكتراثه للحجاج؛ لأنه يعلم أنه يبلغه قوله وثناؤه على ابن الزبير فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ،ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير.
- صلابة إيمان أسماء بنت أبي بكر، وصبرها، وقوة إيمانها، وعدم اكتراثها للحجاج وشدة بطشه.

٤٠- طلوع الشمس من المغرب

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: "أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ(١)"؟. قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ(٢) فَتَخِرُّ سَاجِدَةً(٣) فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا

---

(١) قوله ﷺ :"أتدرون أين تذهب هذه الشمس":استفهام أريد به الإعلام.

(٢) قوله:"حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش":قال الخطابي:يحتمل أن يكون على ظاهره من الاستقرار تحت العرش بحيث لا نُحيط به نحن،ويحتمل أن يكون المعنى: أن علم ما سألتَ عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كُتبت فيه مبادئ أمور العالم ونهايتها وهو اللوح المحفوظ.
قال العسقلاني:والمراد بالمستقر:إما الزمانيُّ وهو منتهى سيرها وسُكُونِ حركتها يوم القيامة حين تُكَوَّر وينتهي العالم إلى غايته،وإما المكاني وهو ما تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهى أينما كانت فهي تحت العرش كجميع المخلوقات، لأنه سقفها، وليس بكرة كما يزعمه كثير من أهل الهيئة، بل هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة.

(٣) قوله"فتخر ساجدة":أى تنقاد للباري تعالى انقياد الساجد من المكلّفين،أو شَبَّهَهَا بالساجد عند غروبها ،قال ابن كثير :والعرش فوق العالم مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب إلى العرش إذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما يكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع أى من المشرق على عادها فيُؤْذَن لها.

ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا".فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا[1] ". رواه الشيخان والترمذي واللفظ لمسلم.[2]

---

(١) أى لا ينفع كافرا لم يكن آمن قبل طلوعها إيمان بعد الطلوع،ولا ينفع مؤمنا لم يكن عمل صالحا قبل الطلوع عمل صالح بعد الطلوع؛ لأن حكم الإيمان والعمل الصالح حينئذ حكم من آمن أو عمل عند الغرغرة وذلك لا يفيد شيئا كما قال تعالى :﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا أجمعون . قال تعالى :﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ (الأنعام ١٥٨).
قال شيخنا الخطيب:أى يوم يأتي بعض آيات ربك الموجبة للإيمان الاضطراري- لم تنفع نفسا لم تكن آمنت من قبل إتيانها - إيمانها بعده في ذلك اليوم -ولا نفسًا لم تكن كسبت في إيمانها خيرا وعملا صالحا - ما عساها تكسب من خير فيه؛ لبطلان التكليف الذي يترتب عليه ثواب الإيمان والعمل الصالح؛ لأن التكليف مبناه الاختيار ، والثواب والعقاب مبنى على هذا التكليف... وليس بعزيز على قدرة الله تغيير مجرى الشمس وجعل طلوعها من المغرب بدل المشرق.

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى " والشمس تجرى لمستقر لها" حديث رقم ٤٨٠٢، ٤٨٠٣. صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ج ١ ص ٩٦ ، تحفة الاحوزي حديث رقم ٢١٩١ ج ٩ ص ٣٣.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته عن علامات الساعة :

يأجوج مأجوج طلوع الشمس ... غربًا وجم الفسق فسق الرأس
ودابة الأرض بلا محاله ... تُبدي لكل دينه وحاله
خراب بيت الله بالأحباش ... ورفع ذكر الله شر الغاشي
رجوع أهل الأرض للفجور ... ومنتهاها نفخة في الصور

٤١- قصة المَهْدِيّ[١]

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" يَكُونُ اخْتِلافٌ[٢] عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا[٣] إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيه نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ[٤] بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ الشَّامِ[٥] فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ[٦] بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ[٧] فَيُبَايِعُونَهُ. ثُمَّ يَنْشَأُ

---

(١) من علامات الساعة إخباره ﷺ بظهور المهدي الْمُنْتَظَر الذي سَيَخرج آخر الزمان،وهو رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد فاطمة رضي الله عنها، واسمه محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي رضي الله عنه، واختلفت الروايات في أن المهدي من بني الحسن أو من بني الحسين،قال القاري في المرقاة :ويمكن أن يكون جامعا بين النسبين الحسنين، والأظهر أنه من جهة الأب حسني ومن جانب الأم حسيني

(٢) يكون اختلاف:أي يقع اختلاف في ما بين أهل الْحَلِّ والعَقْد.

(٣) هو المهدي يَهْرُب خشية الخلافة.

(٤) قال شيخنا الخطيب: يُبَايَعُ وهو كاره بعد أن يفر من البيعة من مكة إلى المدينة فيأتونه فيها فيفر منهم إلى مكة، فيأتونه عند الركن ويقولون: إثْمُنا عليك ودماؤنا في عُنقك إن لم تمد يدك نبايعك، فيبايعهم بين الركن والمقام فَيُلْقِي الله محبته في القلوب.

(٥) يبعث:بصيغة المجهول أي يُرْسَل إلي حربه وقتاله جيش من الشام.

(٦) البيداء: أرض واسعة ملساء،وقال ياقوت: اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهى إلى مكة أقرب تعد من الشرق أمام ذي الحليفة.

(٧) أبدال الشام:أولياؤه،جمع بدل،قال في النهاية:هم الأولياء والعُبَّاد، الواحد بدل، سُمُّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد أُبْدِل بآخر،وعصائب العراق:خياره من قولهم عُصبة القوم خيارهم،قاله القاري. وقال في النهاية:جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلي الأربعين، ولا واحد لها من لفظها.

رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ(١) فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا(٢) فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ. - وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ - فَيَقْسِمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُلْقِي الإِسْلامُ بِجِرَانِهِ(٣) إِلي الأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ". رواه أبو داود وصححه الحاكم.(٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود ﷺ ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي(٥) يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي(٦) يَمْلأُ الأَرْضَ(٧) قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا

---

(١) أي ثم يظهر رجل من قريش يخالف المهدي، أخواله من كلب، فتكون أمه كلبية،قال التوربشتي:يريد أن أم القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في أمره،ويستعين عليه بأخواله من بني كلب.

(٢) أي فيظهر رجل قرشي فيستعين بأخواله بني كلب، فَيُجَيِّشُون له جيشًا لقتال المهدي، فينتصر المهدي عليهم، ويغنم جيشه مالاً عظيماً من بني كلب.

(٣) يلقى الإسلام بجرانه:أي يستقر ويثبت،قال ابن الأثير:الجران باطن العنق، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها"حتى ضرب الحق بجرانه"أي قر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داوود، كتاب المهدي، باب يكون اختلاف عند موت خليفة حديث رقم ٤٢٨٠ جـ ١١. المستدرك ج٤.

(٥) شك من الراوي.

(٦) فيكون اسمه محمد بن عبد الله،وفيه رد علي الشيعة حيث يقولون أن المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري.

(٧) يملأ الأرض قسطا:أي يملأ وجه الأرض جميعا،أو أرض العرب وما يتبعها عدلا.

وَجَوْرًا" (١). رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح.(٢)

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه،قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ(٣) فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا(٤) " قَالَ قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: " سِنِينَ " قَالَ:" فَيَجِيءُ إِلَيْه رَجُلٌ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي(٥) قَالَ:" فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ(٦). رواه الترمذي بسند حسن.(٧)

---

(١) أي الأرض قبل ظهوره ملئت ظلما وجورا.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب المهدي باب لو لم يبق من الدنيا إلا يوم حديث رقم ٤٢٧٩ جزء ١١ص٢٢٠ عارضة الأحوذي حديث رقم ٢٢٣٥ج٩.ص٧٤.

(٣) الحدث:بفتح الحاء والدال: الأمر الحادث المنكَر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة.

(٤) وفي رواية:ويملك سبع سنين من غير شك.وفي حديث أم سلمة بلفظ"فلبث سبع سنين من غير شك.وقول الجازم مُقَدَّم علي قول الشَّاكِّ.

(٥) التكرار في قوله"أعطني أعطني"للتأكيد، ويمكن أن يقال أعطني مرة بعد أخري لما تَعَوَّد الناس من كرمه وإحسانه.

(٦) قوله"فَيَحْثِي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله" أي يُعطِي قدر ما يستطيع حمله، وذا لكثرة الأموال، والغنائم، والفتوحات مع سخاء نفسه.

(٧) مسند أحمد جـ١ ،عارضة الاحوزي حديث رقم ٢٢٣٧ جـ٩ .

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

نزول عيسي قرب يوم البعث   وقتلُه الدجال أهْلَ الْخُبْث
وقبله يجيئنا المهدي   كم منه إكرام وكم مهدي
مُبَايَعًا كُرْها أمام البيت   وانه من خير آل البيت

٤٢- الدجال الآن في جزيرة موثق بالحديد

عن فاطمةَ بنْتِ قيسٍ[١] رضي الله عنها قالت : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ صَلاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ[٢] فَقَالَ:" لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاهُ[٣]". ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ"؟. قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلا لِرَهْبَةٍ[٤] وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ[٥] مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ[٦]، فَلَعِبَ[٧] بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَأُوا[٨] إِلَى جَزِيرَةٍ فِي

---

(١) فاطمة بنت قيس كانت من المهاجرات الأول، زوجها النبي ﷺ لأسامة بن زيد بعد ما تأيمت من زوجها الأول.

(٢) أي تبسم ضاحكا علي عادته .

(٣) لِيَلْزَمْ كل إنسان مصلاه: أي يلزم كل إنسان موضع صلاته، فلا يتغير، ولا يتقدم ولا يتأخر.

(٤) أي ما جمعتكم لخوف من عدو، ولا لأمر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة.

(٥) سفينة بحرية:أي لا برية، احترازا عن الإبل فإنها تسمي سفينة البر،وقال القاري:سفينة بحرية، أي: مركبا كبيرا بحريا، لا زورقا صغيرا نهريا.

(٦) لخم وجُذام:قبيلتان معروفتان.

(٧) قوله فلعب بهم الموج:اللعب في الأصل ما لا فائدة فيه من فعل أو قول،قال ابن الأثير :سمي اضطراب أمواج البحر لعبا لَمَّا لم يَسِرْ بهم إلي الوجه الذي أرادوه،يقال لكل من عمل عملا لا يُجدي عليه نفعا: إنما أنت لاعب.

(٨) أرفأوا إلي جزيرة:أي التجئوا إليها.قال الأصمعي أرفأت السفينة أرفأتها إرفاء، وهذا مرفأ السفينة أي الموضع الذي تُشَدُّ إليه وتُوقَفُ عنده.

الْبَحْرِ حِينَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ(١) فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ(٢) لا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ(٣) مَا أَنْتِ؟. فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ(٤). قَالُوا وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟. قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ(٥) فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ(٦). قَالَ: فَلَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا(٧) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا(٨) حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ(٩) رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟. قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ

---

(١) قوله أَقْرُب السفينة:جمع قارب،وهو سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم،وقيل المراد بأقرب السفينة أدانيها، وهو ما قرب منها للنزول. وأقْربُ جمع سماعي وإلا فالقياس قوارب ، وقيل: المراد بأقرب السفينةأخرياتها وما قرب منها للنزول .

(٢) قال النووي:الأهلب:غليظ الشعر وكثيره.

(٣) قوله"ويلك":كلمة تجري من غير قصد إلي معناه، وقد ترد للعَجَب و التفجيع. قال القاري:خاطبوها مخاطبة المتعجّب المتفجّع.

(٤) الجساسة:بفتح الجيم وتشديد السين الأولي، قيل سميت بذلك لتجسُّسها الأخبار للدجال، وجاء عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن.

(٥) الدَّير:أي دير النصارى،وفي المغرب:صومعة الراهب،والمراد هنا القصر.

(٦) الأشواق:جمع شوق أي كثير الشوق،قال التوربشتي:أي شديد نزاع النفس إلي ما عندكم من الخبر، حتى كأن الأشواق ملصقة به وكأنه مهتم بها.

(٧) فَرِقْنَا أي: خفْنا.

(٨) سراعا أي: مسرعين.

(٩) أعظم إنسان أي: أكبره جثة أو أهيبه هيئة.

بَحْرِيَّة فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ[١]، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِه فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِه مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْت؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَت: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بالأشْوَاق، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[٢]. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ[٣]. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ. قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاء. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[٤]. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟. قَالَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاء وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ[٥] مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيه مِنَ الْعَرَب وَأَطَاعُوهُ. قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلا أَدَعَ

---

(١) الاغتلام:أن يتجاوز الإنسان ما حُدّ له من الخير والمباح.

(٢) بيسان:قرية في الشام قريبة من الأردن، وتوصف بكثرة النخل .

(٣) بحيرة الطبرية: بحيرة بالأردن، قال الإصطخري: وهي عذبة الماء، وعليها تقع مدينة طبرية .

(٤) قوله عين زُغَر:بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٥) نبي الأميين:أي العرب،جاء في شرح المشارق:أراد الدجال بالأميين العرب؛ لأنهم لا يكتبون ولا يقرءون غالبا.

قَرْيَةً إلا هَبطْتُهَا في أَرْبَعين لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ(١) فَهُمَا مُحَرَّمَتَان عَلَيَّ كلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحدَةً أَوْ وَاحدًا منْهُمَا اسْتَقْبَلَني مَلَكٌ بِيَده السَّيْفُ صَلْتًا(٢) يَصُدُّني عَنْهَا، وَإنَّ عَلَى كُلِّ نَقْب منْهَا مَلائكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺوَطَعَنَ بمخْصَرَته(٣) في الْمنْبَر: "هَذه طَيْبَةُ هَذه طَيْبَةُ هَذه طَيْبَةُ"- يَعْني الْمَدينَةَ- "أَلا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلكَ"؟. فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ". قال: "فَإِنَّهُ أَعْجَبَني حَديثُ تَميمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدينَة وَمَكَّةَ". ثم قال ﷺ:" أَلا إِنَّهُ في بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لا بَلْ منْ قبَلِ الْمَشْرِق مَا هُوَ(٤) منْ قبَلِ الْمَشْرِق مَا هُوَ منْ قبَلِ الْمَشْرِق مَا هُوَ". وَأَوْمَأَ بِيَده(٥) إلَى الْمَشْرِق. قَالَتْ(٦): فَحَفظْتُ هَذَا منْ رَسُولِ اللَّه ﷺ. رواه مسلم والترمذي واللفظ لمسلم.(٧)

---

(١) طيبة" اسم من أسماء المدينة .

قال شيخنا الخطيب:

وما تحرك صوفي ولا سكنا   إلا بشرع الذي في طيبة سكنا

(٢) قوله "صلتا" بفتح الصاد وضمها أي مسلولا،قال ابن الأثير:يقال أصْلَتَ السيف إذا جرده من غمده

(٣) المخصرة:بكسر الميم قضيب أو عنـزة ونحوه يشير به الخطيب إذا خاطب الناس.

(٤) قال النووي:قال القاضي:لفظة "ما هو" زائدة صلة للكلام وليست بنافية،والمراد إثبات أنه في جهة المشرق. وقال القرطبي:هو شك أو ظن منه صلى الله عليه وسلم، أو قصد الإبهام على السامع، ثم نفي ذلك وأضرب عنه للتحقيق فقال لا بل من قبل المشرق، ثم أكد ذلك بما الزائدة، والتكرار اللفظي فما زائدة لا نافية،وقيل يجوز أن تكون موصولة أي الذي هو في الشرق.

(٥) أومأ بيده: أي أشار بيده ﷺ.

(٦) قالت:أي فاطمة بنت قيس.

(٧) صحيح مسلم شرح النووي (كتاب الفتن باب قصة الجساسة) حديث رقم ٢٩٤٢ جـ١٨ .تحفة الاحوزي حديث رقم ٢٢٥٨ ج٩ .

٤٣- الدجال برواية الترمذي

عن النَبيِّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " حدثني تَميمٌ الـدَّارِيُّ ﷺ " أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ[١] رَكِبُوا سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ فَجَالَتْ[٢] بِهِمْ حَتَّى قَذَفَتْهُمْ[٣] فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَإِذَا هُمْ بِدَابَّةٍ لَبَّاسَةٍ[٤] نَاشِرَةٍ شَعْرَهَا[٥] فَقَالُوا: مَا أَنْتِ، قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: فَأَخْبِرِينَا. قَالَتْ: لا أُخْبِرُكُمْ وَلا أَسْتَخْبِرُكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا أَقْصَى الْقَرْيَةِ فَإِنَّ ثَمَّ مَنْ يُخْبِرُكُمْ وَيَسْتَخْبِرُكُمْ. فَأَتَيْنَا أَقْصَى الْقَرْيَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ بِسِلْسِلَةٍ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ. قُلْنَا: مَلأَى تَدْفُقُ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنِ الْبُحَيْرَةِ. قُلْنَا: مَلأَى تَدْفُقُ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ الَّذِي بَيْنَ الأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ هَلْ أَطْعَمَ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنِ النَّبِيِّ هَلْ بُعِثَ؟. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَخْبِرُونِي كَيْفَ النَّاسُ إِلَيْهِ؟. قُلْنَا: سِرَاعٌ. فَنَزَا نَزْوَةً[٦] حَتَّى كَادَ. قُلْنَا: فَمَا أَنْتَ؟ قَالَ: إِنَّه الدَّجَّالُ وَإِنَّهُ يَدْخُلُ الأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلا طَيْبَةَ. وَطَيْبَةُ الْمَدِينَةُ"-صلى الله على ساكنها وسلم.رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.[٧]

---

(١) فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام :كورة ما بين الأردن وديار مصر، وأم ديارها بيت المقدس.

(٢) جالت بهم:حولتهم عن قصدهم.

(٣) قذفتهم:ألقتهم.

(٤) لباسة:كثيرة اللباس، وكنى بكثرة لباسها عن كثرة شعرها، ومن رآها فلا يدري ما هي .

(٥) ناشرة شعرها:أي جاعلة شعرها منتشر.

(٦) نزا نزوة: أي وثب وثبة وغضب حتى كاد يخرج من وثاقه .

(٧) عارضة الاحوزي بشرح صحيح الترمذي كتاب الفتن رقم ٢٢٥٨ ج٩.

٤٤- من أوصاف الدجال

عَنْ أَنس، رَضي اللَّه عَنْه أن رسول الله ﷺ "قال: ما مِنْ نَبِـيٍّ إلا وقـد أَنْذَرَ أُمَّتَهُ[١] الأَعْوَرَ[٢] الْكَذَّابَ،أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ[٣]، مَكْتُوبٌ بين عينيه كـ ف ر أي كَافِرٌ، يقرؤه كل مسلم"[٤]. متفق عليه.[٥]

ولمسلم[٦]: "الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ[٧] مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَـارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ"[٨] .

---

(١) أي خَوَّفَهُم به.

(٢) العَوَرُ في اللغة العَيْبُ: يقال عورت العين عَوَرًا من بـاب تعـب: نقصـت أو غارت.

(٣) قوله ﷺ: "وإن ربكم ليس بأعور"بيان لعلامة بيِّنة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل واحد.

(٤) قال النووي: الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنهـا كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبـه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب، وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك.

(٥) صحيح البخاري (كتاب الفتن باب ذكر الدجال). صحيح مسلم شرح النووي كتاب الفتن حديث رقم ٢٩٣٣ جـ١٨.

(٦) صحيح مسلم شرح النووي كتاب الفتن حديث رقم ٢٩٣٤ جـ١٨.

(٧) جفال الشعر:أي كثيره

(٨) وفي رواية: نهران وفى رواية:ماء ونار،وقال العلماء:هذا من جملة فتنتهُ امتَحَن الله تعالى به عباده لِيُحق الحق ويُبطل الباطل، ثم يفضحه، ويُظهر للناس عجزه.

ولأبي داود[(١)] :إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ رَجُلٌ قَصِيرٌ[(٢)] أَفْحَجُ[(٣)] جَعْدٌ[(٤)] أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ[(٥)] لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا جحراء[(٦)] فَإِنْ الْتبسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ[(٧)]".

عن حذيفة ﵁ عن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: "لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود كتاب الملاحم – خروج الدجال حديث رقم ٤٣١٢ جـ١١ ص ٢٦٢ .

(٢) قوله"قصير" يدل على قِصَر قامة الدجال،وقد ورد في حديث تميم الداري في شأن الدجال أنه أعظم إنسان، ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخِلْقة. قال القاري:وهو المناسب لكونه كثير الفتنة أو العظمة مصروفة إلى الهيبة، قيل ويحتمل أن الله تعالى يغيره عند خروجه.

(٣) الفَحَجُ:تباعُد ما بين الفخذين وهو من جملة عيوب الرجال.

(٤) الجعد في صفات الرجال يكون مدحا ويكون ذما، فالمدح معناه:أن يكون شديد الأسر" العَصْب "والخَلْق، أو يكون جَعْد الشعر وهو ضد السَّبط لأن سبوطة الشعر هي الغالبةفي شعور العجم، وأما الذم فهو القصير المتردد الْخَلْق.

(٥) مطموس العين: أى ممسوحها من غير بَخْصٍ (وهو اقتلاع العين مع شحمتها) والطمس: استئصال أثر شيء. قال ابن فارس:المسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب منه، وسمى الدجال مسيحا لأنه كذلك.

(٦) ليس بناتئة ولا جحراء : أى ليست مرتفعة ولا غائرة، وفى بعض النسخ ولا جخراء، قال الأزهرى الجخراء : الضَّيِّقة التي لها غَمْصٌ ورَمَصٌ " وسخ سائل".

(٧) أى إن اشتبه عليكم أمر الدجال بنسيان ما بيَّنت لكم من الحال، أو إن لبس عليكم أمره بما يدعيه من الألوهية بالأمور الخارقة عن العادة، فاعلموا أن أقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التتريه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقائض الظاهرة المرئية.

الدَّجَّال مِنْهُ؛ مَعَهُ نَهْرَان يَجْرِيَان أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ[1]، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ[2] ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ[3] رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ[4] غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ "أخرجه مسلم بلفظه.[5]

ولأبى داود[6] قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ[7] فَلْيَنْأَ عَنْهُ[8] فَوَاللَّه إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ[9] أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ[10] أَوْ: لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ".[11]

---

(١) نار تأجج:أى تضيء من أجيج النار وتَوَقُّدها.

(٢) قال الفيومي : غَمَضَ الحقُّ غُموضا خَفِيَ مَأْخَذُه، وأَغْمَضْتُ العين إغماضا وغمَّضها تغميضا: أطبقتُ الأجفان.

(٣) طأطأ:خفض وتواضع.

(٤) ظَفَرَةٌ:بفتح الظاء والفاء : جُلَيْدَةٌ تُغَشِّي البَصَرَ.

(٥) صحيح مسلم شرح النووي باب الفتن حديث رقم ٢٩٣٤ ج١٨.

(٦) سنن أبى داود الملاحم- خروج الدجال رقم ٣٧٦٢.

٧) أي من سمع بخروج الدجال .

(٨) فلْينأ:أى يبتعد .

(٩) يحسب:أى يظن .

(١٠) أى من أجل ما يثيره ويباشره من المشكلات: كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك، فيصير تابعه كافرا وهو لا يدرى.

(١١) أو شك من الراوي .

٤٥- قصة أبي الدجال وأمه

عن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ [١] أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: "يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ وَأُمُّهُ ثَلاثِينَ عَامًا لا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلامٌ أَعْوَرُ أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً [٢]، تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ [٣]". ثُمَّ نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: "أَبُوهُ طِوَالٌ ضَرْبُ [٤] اللَّحْمِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ [٥] وَأُمُّهُ فِرْضَاخِيَّةٌ [٦] طَوِيلَةُ الْيَدَيْنِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: فَسَمِعْنَا بِمَوْلُودٍ فِي الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَذَهَبْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبَوَيْهِ فَإِذَا نَعْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمَا. فَقُلْنَا: هَلْ لَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالا: مَكَثْنَا ثَلاثِينَ عَامًا لا يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ، ثُمَّ وُلِدَ لَنَا غُلامٌ أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً، تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ. قَالَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمَا فَإِذَا هُوَ مُنْجَدِلٌ [٧] فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ، وَلَهُ هَمْهَمَةٌ [٨] فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ: مَا قُلْتُمَا؟ قُلْنَا: وَهَلْ سَمِعْتَ مَا قُلْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَنَامُ عَيْنَايَ وَلا يَنَامُ قَلْبِي. رواه الترمذي [٩] .

---

(١) أبو بكرة: نفيع بن الحارث بن كلدة ﷺ.

(٢) أقله منفعة: أى أقل شيء منفعة .

(٣) قال القاضي عياض: أى لا تنقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم؛ لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يُلقى الشيطان إليه، بينما لم يكن ينام قلب النبى ﷺ من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والإلهام.

(٤) الضَّرْبُ: الخفيف اللحم الْمَمْشُوق القوام .

(٥) أى أنفه طويل بحيث يشبه منقار الطائر.

(٦) فِرْضَاخية: ضخمة عظيمة الثديين.

(٧) منجدل: قال ابن الأثير: مُلْقًى على الْجَدَالة وهى الأرض.

(٨) الهمهمة: كلام خفيف لا يُفهم، قال ابن الأثير: أصل الهمهمة صوت البقر.

(٩) عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذكر ابن صياد حديث رقم ٢٢٥٣ ج٩ .

٤٦- أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ "يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قبَلَهُ[1] رَجُلٌ منَ الْمُؤْمنينَ، فَتَلْقَاهُ مَسَالحُ الدَّجَّال فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمدُ ؟ فَيَقُولُ أَعْمدُ إِلَى هَذَا الَّذي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمنُ برَبِّنَا؟ فَيَقُولُ مَا برَبِّنَا خَفَاءٌ. فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ قَالَ: فَيَنْطَلقُونَ إِلَى الدَّجَّال فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذي ذَكَرَه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ به فَيُشَبَّحُ[2] فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ[3]. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمنُ بي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ به فَيُؤْشَرُ بالْمئْشَار[4] منْ مَفْرقه حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رجْلَيْه، ثُمَّ يَمْشي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقطْعَتَيْن ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوي قَائمًا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمنُ بي؟ فَيَقُولُ له: مَا ازْدَدْتُ فيكَ إلا بَصيرَةً[5] ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدي بأَحَد منَ النَّاس. قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ ليَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَته إِلَى تَرْقُوَته[6] نُحَاسًا فَلا

---

(١) قبله: جهته.

(٢) الشَّبح: مَدُّ الشيء بين أوتاد كالجلد والحبل.

(٣) الشج: في الرأس خاصة في الأصل وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء.

(٤) المئشار: اسم آلة النشر وهو المنشار.

(٥) ما ازددت فيك إلا بصيرة: أي إلا معرفة من أمرك ويقينا.

(٦) الترقوة: بفتح التاء وضم القاف وهى العظم الذي بين ثُغْرة النحر والعاتق من الجانبين والجمع التراقى، ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوانات إلا للإنسان خاصة- قاله الفيومي.

يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلا. قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسَبُ النَّــاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّــهِ عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ".رواه مسلم.(١)

(١) صحيح مسلم شرح النووي كتاب الفتن باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليــه حديث رقم ٢٩٣٨ جــ١٨.

٤٧- فتنة الأحلاس

عن عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: كُنَّا عِنْدَ النبي ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ(١) فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ(٢)، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قَالَ "هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ(٣) ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ(٤) دَخَنُهَا(٥) مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي(٦) وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي

---

(١) الفتنة: المحنة والابتلاء والجمع، فتن، يقال: فتنته أفتنه فتنا وفتونا إذا امتحنته، قال ابن الأثير: وقد كثر استعمالها للمكروه، ثم استعمل بمعني الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشئ.

(٢) الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها ودوامها، قال الخطابي: إنما أضيفت الفتنه إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، أو لسواد لونها وظلمتها.

(٣) قوله "هرب" : فرار .قال القاري: يفرُّ بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة، قوله: "حرب" قال ابن الأثير الحرب نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له.

(٤) السراء: النَّعماء التي تسُرُّ الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت الفتنة إلى السراء؛ لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعُّم أو لأنها تسر العدو .

(٥) دخنها: أى ظهورها وإثارتها، شبهها بالدخان المرتفع، والدخن بالتحريك مصدر دخِنَت النار تَدْخَنُ إذا ألقى عليها حطب رَطْب فكثر دُخانها.

(٦) قوله "يزعم أنه منى" أى في الفعل وإن كان منى في النسب، وقوله" ليس منى" أى من أخلاقى أو من أهلى في الفعل؛ لأنه لو كان من أهله لم يهيج الفتنة، ونظيره قوله تعالى: "إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح" أو ليس من أوليائى في الحقيقة.

قال الأردبيلى: فيه إعجاز وعلم للنبوة، وفيه أن الاعتبار كل الاعتبار للمتقى وإن بعد عن رسول الله ﷺ في النسب، وأنه لا اعتبار للفاسق والفتَّان عند رسول الله ﷺ في النسب، وإن قَرُب منه في النسب.

الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ(١) ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ(٢) لا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً(٣) فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ(٤): فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ(٥) مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ". رواه أبو داود والحاكم بسند صحيح.(٦)

---

(١) قوله"كورك على ضلع" قال الخطابي:هو مَثَلٌ، ومعناه الأمر الذي لا يَثْبُتُ ولا يستقيم،وذلك لأن الضلع لا يقوم بالورك، قال القاري:هذا مثل، والمراد أنه لا يكون على ثبات؛ لأن الورك لا يثبت على الضلع لدقته،والمعنى أنه يكون غير أهل للولاية لقلة عمله وخفة رأيه.وقال الأردبيلى: يقال في التمثيل للموافقة والملاءمة: كَفٌّ في ساعدٍ ،وللمخالفة والمغايرة: ورك على ضلع.

(٢) الدهماء:الفتنه، المظلمة ، والتصغير فيها للتعظيم، وقيل أراد بالدهيماء الداهية، ومن أسمائها الدهيم، وزعموا أن الدهيم اسم ناقة كان غزا عليها سبعة إخوة فقُتِلوا عن آخرهم وحُملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا في كل داهية.

(٣) قوله"إلا لطمته لطمة" أى أصابته بمحنة ومسَّتْهُ بِبَلِيَّة وأصل اللطم الضرب على الوجه بباطن الكف، والمراد أن أثر تلك الفتنة يعم الناس.

(٤) الفسطاط:بالضم و الكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس وكل مدينة فسطاط، قال الزمخشري: هو ضرب من الأبنية في السَّفر دون السرادق، وبه سميت المدينة، ويقال لمصر والبصرة: الفسطاط، وقال الفيومي: الفسطاط :مدينة مصر قديما وبعضهم يقول: كل مدينة جامعة فسطاط.

(٥) أي ظهوره.

(٦) قال عنه الحاكم حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه،ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ عون المعبود كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٣٨ ج ١١.

٤٨- متى ابتدأت الفتنة[1] ؟ ومن أين تأتي ؟

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِه وَجَارِه[2] قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟[3] قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ[4] فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ[5]. قلت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا

---

(١) أصل الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار،قال القاضي عياض:ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء.يقال فُتن الرجل يُفْتن فُتونا: إذا وقع في الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة.

(٢) قال النووي: فتنة الرجل في أهله ضروب من فرط محبته لهم، وشُحِّه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالى :﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ التغابن/١٥. أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم، وتأديبهم، وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته ،وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة.

(٣) قوله"تموج موج البحر" : أى تضطرب ويَدْفع بعضُها بعضا،وشبهها بموج البحر لشدة عظَمها، وكثرة شيوعها

(٤) سكت وأسكت: لغتان بمعنى صَمَت،قال الفيومي : سكت : صمت يتعدى بالألف ، والتضعيف، فيقال أسكت وسكّته،وبعضهم يجعله بمعنى أطرق، وانقطع . وقال الأصمعى:سكت: صمت، وأسكت: أطرق ، وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة.

(٥) قوله " لله أبوك" :كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها، فإن الإضافة إلى العظيم تشريف . (أي كان أبوك عبداً لله وأنجبك عبداً لله تعالى).

عُودًا(١) فَأَيُّ قَلْب أُشْرِبَهَا(٢) نُكتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ(٣) وَأَيُّ قَلْب أَنْكَرَهَا(٤) نُكتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فتْنَةٌ مَا دَامَت السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا(٥) لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ". قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ

---

(١) قوله ﷺ (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا)أي تَلْصَقُ بجنب القلوب كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به ، قال أبو عبد الله بن سليمان:معناه تظهر على القلوب ،أي تظهر لها فتنة بعد أخرى، كما ينسج الحصير عودا عودا، وشظية بعد أخرى، قال القاضي عياض: وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا أخذ آخر ونسجه، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدا بعد واحد.

(٢) أشربها:أى دخلت فيه دخولا تاما وحَلَّت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أى شربوا حب العجل حتى خَلَص ذلك إلى قلوبهم، ومنه قولهم ثوب مُشْرَبٌ بحُمرة أى خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها.

(٣) النكتة:في الشئ كالنقطة ،والجمع نُكَتٌ ونِكاتٌ ، قال ابن دريد: كل النقط في شيء بخلاف لونه فهو نكت.

(٤) أنكرها:رَدَّها

(٥) كالكوز مجخيا:أى كالكأس منكوسا،قال ابن سراج: ليس قوله كالكوز مجخيا تشبيها، لما تقدم من سواده، بل هو وصف آخر أو أضافة بأنه قُلِبَ ونُكِسَ حتى لا يَعْلَق به خير ولا حكمة مثله بالكوز المجخي،وبيَّنه بقوله: لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ،وقال القاضي عياض رحمه الله :شبه القلب الذي لا يعي خيرا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه ،وجاء في شرح النووي معنى الحديث: أن الرجل الذي اتبع هواه وارتكب المعاصي ودخل قلبَهُ من كل معصية يتعاطاها ظُلْمَةٌ، وإذا صار كذلك افتتن وزال منه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصب ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك .

وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا[١] يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا[٢] لا أَبَا لَكَ[٣] فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ: لا بَلْ يُكْسَرُ. وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ[٤]. حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ[٥] رواه الشيخان والترمذي[٦].

---

(١) قوله " أن بينك وبينها بابا مغلقا" معناه أن تلك الفتن لا يخرج منها شيء في حياتك .

(٢) قوله "أكسرا" أي أيكسر كسرا فإن المكسور لا يمكن إعادته بخلاف المفتوح، ولأن الكسر لا يكون غالبا إلا عن إكراه وغلبة وخلاف عاده.

(٣) قوله " لا أبا لك" هذه كلمة تذكرها العرب للحث على الشيء، ومعناه أن الإنسان إذا كان له أب وحزبه أمر ووقع في شدة عاونه أبوه،ورفع عنه بعض الكَلّ، فلا يحتاج من الجد والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد، وعدم الأب المعاون ، فإذا قيل لا أبا لك، فمعناه: جد في هذا الأمر، وشمّر، وتأهّب تأهُّب من ليس له معاون.

(٤) قالث النووي : أما الرجل الذي يقتل فقد جاء مُبَيَّنًا في الصحيح أنه عمر بن الخطاب ﷺ ،وقوله: يقتل أو يموت: يحتمل أن يكون حذيفة ﷺ سمعه من النبي ﷺ هكذا، أو المراد به الإبهام على حذيفة وغيره،ويحتمل أن يكون حذيفة علم أنه يقتل لكن كره أن يخاطب عمر رضي الله عنه بالقتل، فإن عمر كان يعلم أنه الباب كما جاء مبينا في الصحيح أن عمر كان يعلم من الباب كما يعلم أنه قبل غد الليلة . فأتى حذيفة ﷺ بكلام يحصل منه غرض مع أنه ليس إخبارا لعمر بأنه يقتل .

(٥) الأغاليط: جمع أُغلوطة وهى التي يُغَالَطُ بها من الكلام المبهم ،فمعناه حدثته حديثا صادقا محقّقًا ليس هو من صحف الكتابيين ولا من اجتهاد ذي رأى، بل من حديث النبى ﷺ ،قال النووي : الحاصل أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر ﷺ ، وهو الباب، فما دام حيا لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن وكذا كان والله اعلم. وقال ابن حجر : وعُلِم من الخبر أن بأس الأمة بينهم واقع وان الهرج لا يزال إلى يوم القيامة.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الفتن باب الفتن تموج موج البحر حديث رقم٧٠٩٦، صحيح مسلم - كتاب الإيمان باب رفع الأمانه والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب ج ١.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

محمد خليل الخطيب النيدي



فضيلة الإمام / محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول ﷺ

فى هذا الكتاب

القصة الصادقة - والعظة البالغة - والبلاغة المعجزة

ثمان وأربعون قصة بأسلوب النبى

صلى الله عليه وسلم

الطبعة الاولى

ابريل ٢٠٠٨